الأخلاق عند
عفيف الدين التلمساني

الدكتورة

مديحة حمدي عبد العال مرسي

أستاذ الفلسفة الإسلامية المساعد، كلية الآداب،

جامعة الفيوم، مصر

الأخلاق عند عفيف الدين التلمساني

مديحة حمدي عبد العال مرسي

قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الفيوم، الفيوم، مصر.

البريد الالكترونى :Mha06@fayoum.edu.eg

ملخص البحث:

تهدف الأخلاق عند عفيف الدين التلمساني إلى تقويم سلوك الإنسان وتنظيم حياته، كما تهدف إلى الكشف عن الأخلاق الحسنة ودرجاتها وسبل التحقق بها، وكذلك الكشف عن ارتباط الأخلاق بقدرة الإنسان واختياره، فيختار طريق الخير أو طريق الشر، ويختار بين الأخلاق الفاضلة وبين الأخلاق الدنية (الرذائل). ونتيجة لهذا الاختيار يؤهل للجزاء الأخروي بالثواب أو بالعقاب. وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التحليلي النقدي المقارن، ونستنتج من الدراسة أن الأخلاق حين تدرس يجب أن يؤخذ في الاعتبار جميع أفعال الإنسان وأقواله، لأنها كلٌ متصل، لا يتجزأ ولا ينفصل. كما أنها ترتبط بالقضاء والقدر، والجزاء الأخروي.

الكلمـات المفتاحيـة: الأخـلاق– عفيـف الـدين التلمسـاني– حسـن الخُلُـق– التطهير – الفضائل– الرذائل.

Morality according to Afif al-Din al-Tilimsani

Madiha Hamdy Abed El Aal Morsy

Department of philosophy, Faculaty of arts, Fayoum university, Fayoum, Egypt**.**

mail: Mha06@fayoum.edu.eg

Abstract:

According to al-Tilimsani, morality aims at adjusting man's behavior and organizing his life. It also aims at revealing good manners, their degrees and ways of verifying them. Moreover, it aims at revealing the relation of morality to man's ability and choice so that he chooses the good way or the evil way and distinguishes between good manners (virtue) and bad manners (vice). This choice qualifies him for reward or punishment in the afterlife. When studying morality, all deeds and sayings of man should be taken into account, because they are a connected and inseparable whole. They are also connected with predestination and reward or punishment of the afterlife. To investigate morality in al-Tilimsani's writings and show its importance, an analytical and comparative method was used to form an integrated moral system and highlight all subtle facts related to it.

Key Words: Morality, Afif al-Din al-Tilimsani, good manners, Purification, Virtues- Vices.

المقدمة:

اهتم عفيف الدين التلمساني (ت٦٩٠هـ)[١] بتحليل الأخلاق، ومفهومها، وطبيعتها، وأنواعها، ودرجاتها، وأهم المصطلحات التي ترتبط بها، وكذلك بيان أثرها على الإنسان ومجتمعه المحيط به. فالأخلاق عنده مرتبطة بكيان الإنسان ككل: حياته ومآله، ذاته ومجتمعه، وكذلك ترتبط بحريته واختياره، على اعتبار أن أفعال الإنسان وأقواله، كلٌ متصل، لا يتجزأ ولا ينفصل. وتؤكد الدراسة على ضرورة اعتدال الإنسان في جميع متطلباته، ليرقى روحا وجسدا في الطريق الروحي إلى الله.

وتهدف دراسة الأخلاق عند عفيف الدين التلمساني إلى ربط سلوك الإنسان بغيره من البشر. فقد قدم التلمساني نماذج متعددة للأخلاق الحسنة والتي تعد شروطا ضرورية للتعايش والتراحم بين الإنسان وغيره من البشر مع اختلاف ثقافاتهم ودياناتهم وأعراقهم. ومن ثم تأتي أهمية دراسة الأخلاق عنده بوصفها تناسب الإنسان المعاصر وتربطه بربه وبمجتمعه.

وكانت نقطة انطلاقنا لدراسة هذه القضية هو أن البحث في الأخلاق قديم قدم التصوف، والمكتبة العربية بحاجة لمزيد من الدراسات عنها، كما أنها قضية أثارت اهتمام المفكرين عبر جميع العصور؛ فمعالجة قضية الأخلاق تزيد من ارتباط الإنسان المعاصر بالله في كل لحظة وآن، وهذا سر وجوده وسعادته في الدنيا وفي المآل.

أما ما دفعني لدراستها عند عفيف الدين التلمساني تحديداً فهو تشريحه الدقيق للأخلاق وطبيعتها ومفهومها وأنواعها ودرجاتها، وانعكاس مردودها على المجتمع، كما أن المكتبة العربية بحاجة لمزيد من الدراسات عنه مما

يزيد من أهمية هذه الدراسة، فلديه العديد من الآراء والأفكار التي تحتاج للدراسة والبحث ومنها الأخلاق.

ويمثل التلمساني حلقة مهمة في تاريخ الفكر الفلسفي، بوصفه شارحاً لمحيي الدين بن عربي (ت٦٣٨هـ)، وتلميذاً لصدر الدين القونوي (ت٦٧٢هـ)، وابن سبعين (ت٦٦٩هـ) أيضاً، فقد ذكر عنه ابن سبعين: أنه أحذق في العلم والمعرفة من صدر الدين القونوي. كما أنه يمثل حلقة مهمة في تطور الفكر الصوفي الذي ازدهر في القرنين السادس والسابع الهجريين بظهور ابن عربي ومدرسته؛ فقد توسع في شرحه لفصوص الحكم بما لم يرد حتى في النصوص الأصلية، وفي هذا دلالة على تفرده بوجهة نظر جديدة في بعض المسائل التي تخص الوجود والأعيان الثابتة– تحديدا– والتي لم ترد في نصوص ابن عربي، وبهذا تلقي شروحات التلمساني ضوءا جديدا على أفكار ابن عربي.

ورغم أهمية التلمساني، وأهمية آرائه في التراث الصوفي الفلسفي، فإنه لم يحظ بدراسات وافية؛ لهذا يجب أن تتجه أقلام الباحثين إلى تراث التلمساني الفكري باعتباره من متفلسفة الصوفية. هذا بالإضافة إلى تفرده بشروح دقيقة لأمهات الكتب في الفلسفة الإسلامية. فشروحه أخذت طابعا فريدا جعله يجد الجديد في النصوص مما لم يتطرق إليه صاحب المؤلف الأصلي. فشروحه تعبر عن رأيه الخاص وليس استطرادا أو تحليلا سطحيا لأمهات الكتب، بل تنبه في شرحه للنصوص إلى العديد من القضايا التي لم يتطرق لها صاحب المؤلف الأصلي. فقد ذكر في أكثر من موضع من شروحاته أنه عاين هذا المقام في أكثر من حدث، وهذا جعله يبرز ما فيه من نواحي أخلاقية

وروحيـة، وهـذا مـا سـنبرزه فـي ثنايـا الدراسـة. وقـد ذُكِـرَ أنـه تلقـى بعـض النصوص– في كتاب فصوص الحكم– من ابن عربي مباشرة.

وتهدف هذه الدراسة إلي:

أولاً: الكشف عن الأخلاق وطبيعتها.

ثانياً: الكشف عن أنواع الأخلاق ودرجاتها.

ثالثاً: الكشف عن المردود الذي تتركه الأخلاق المحمودة في علاقة الإنسان بمجتمعه، والتي تخدم الواقع المعاصر.

رابعاً: الكشف عن ارتباط الفعل الخُلُقي بحرية الإرادة.

خامساً: الكشف عن المفاهيم التي ترتبط بمفهومه للأخلاق.

كما تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما مفهوم الأخلاق عند التلمساني؟ وما أنواعها عنده؟ وما هي درجاتها عنده؟ وكيف يرتبط الفعل الأخلاقي عنده بحرية الإرادة والاختيار؟ وكيف ترتبط الأخلاق عنده بالتصوف؟ وكيف يسهم تحليله للأخلاق في حياة الإنسان المعاصر؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة فإنه من الأهمية بمكان الاستعانة بالمنهج التحليلي لتوضيح آراء التلمساني في الأخلاق؛ ومن ثم إظهار الأبعاد الروحية والنفسية والكلامية التي ترتبط بها. وكذلك استخراج المصطلحات التي ترتبط بتحليله للأخلاق وما يرتبط بها من موضوعات. والاستعانة أيضاً بالمنهج النقدي لإظهار الأثر الفعال الذي تركه التلمساني في هذا الصدد، وكذلك توضيح دورنا النقدي لآراء التلمساني في الأخلاق. والاستعانة أيضاً بالمنهج المقارن لمقارنة هذه الآراء بآراء غيره من الفلاسفة والصوفية والمتكلمين والمفكرين.

وتنقسم هذه الدراسة إلى الأقسام الآتية:

المقدمة.

أولاً: مفهوم الأخلاق وطبيعتها.

ثانياً: أنواع الأخلاق.

ثالثا: درجات الأخلاق.

رابعاً: ارتباط الأخلاق بالتهذيب والرياضة والتطهير والأدب.

خامساً: شروط التحقق بالأخلاق الحسنة (شروط الاعتدال).

سادساً: الأخلاق الحسنة (مكارم الأخلاق).

سابعاً: الفعل الخُلُقي.

نتائج الدراسة.

قائمة المصادر والمراجع.

***

أولاً: مفهوم الأخلاق وطبيعتها:

الخُلُق: عبارة عن هيئة راسخة للنفس يصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث يصدر عنها الأفعال الجميلة عقلا وشرعا بسهولة سميت الهيئة خُلُقا حسنا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خُلُقا سيئا، وإنما قلنا أنه هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على الندور بحالة عارضة لا يقال خُلُقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه، وكذلك من تكلف السكوت عند الغضب بجهد أو روية لا يقال خُلُقه الحلم(٢). فالخُلُق ملكة نفسانية يسهل بها تحمل المشاق(٣).

وتدور المعانى اللغوية للأخلاق حول: العادة والطبيعة والدين والمروءة. وهي في عرف العلماء ملكة تصدر بها عن النفس الأفعال بسهولة من غير تقدم فكر وروية وتكلف(٤). وقد صرح مسكويه (ت٤٢١هـ) أن: علم الأخلاق: علم بأصول يعرف بها حال النفس من حيث ماهيتها وطبيعتها وعلة وجودها وفائدتها ووظيفتها التي تؤديها والفائدة من وجودها وسجاياها وأميالها وما ينقلها بسبب التعاليم عن الحالة الفطرية. وهو أول علم تأسس منذ بدأ الخليقة ونطقت به ألسنة الملائكة(٥). وذكر الإمام يحيى بن حمزة اليماني (ت٧٤٥هـ) عن الخُلُق أنه إذا كانت هذه الهيئة تصدر عنها الأفعال الجميلة والمحمودة عقلا وشرعا سميت خُلُقا حسنا، وإن كان الصادر منها أفعالا قبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خُلُقاً سيئاً(٦).

وقد وضح التلمساني معنى الأخلاق من خلال مفهومين:

المفهوم الأول للخُلُق عنده: أن خُلُق كل متكلف هو: "ما اشتملت عليه نعوته، يعني صفاته... فالخُلُق هو الصفات المجموعة في الإنسان، فإن كانت حسنة فهو على خُلُقٍ حسن، وإن كانت سيئة فهو على خُلُقٍ سيء"(٧).

ويؤكد التلمساني أن: من تمام الإنسان وكماله: أن يكون مرتاضا بمكارم الأخلاق ومحاسنها، ومتنزها عن مساوئها ومقابحها، آخذا في جميع أحواله بقوانين الفضائل، عادلا في كل أفعاله عن طريق الرذائل، فالواجب على الإنسان أن يسعى لاكتساب كل شيمة سليمة من العيوب، ويصرف همته على اقتناء كل خُلُق كريم منزه عن العوارض والشبهات. فلا يتسنى له نيل الكمال إلا بتهذيب أخلاقه.

أما المفهوم الثاني للأخلاق عنده: فقد جاء مرتبطا بالتصوف، إذ يقول: "التصوف هو حُسن الخُلُق"(٨). ولا يتحقق حسن الخُلُق عند التلمساني إلا لمن كان يؤثر طاعة الله على رغباته وأهوائه، ويربأ بنفسه عما حرمه ونهى عنه. وليزيد الأمر وضوحا قرر أنه: اجتمعت كلمة المتكلمين في علم التصوف أن: (التصوف هو حُسن الخُلُق). وجماع آرائهم: أن محاسن الأخلاق ترجع إلى أصل واحد، وهو بذل المعروف وكف الأذى، فبذل المعروف هو قطب التصوف. والله تعالى جعل لمن نوى أن يفعل خطيئة ثم تركها من خشية الله تعالى أن تكتب له حسنة(٩).

يتضح من ذلك أن التصوف عند التلمساني يعد علما للسلوك والأخلاق، وطريقا لاعتدال العبد واستقامته على مراد الله. كما أن الخُلُق الحسن يستتبعه سمو للإنسان واعتدال في سلوكه ومتطلباته، وهذا ينعكس على المجتمع بالأمن والاستقرار. فبذل المعروف وكف الأذى: لا يكون إلا من الإنسان

لغيره من البشر، ولهذا فمحاسن الأخلاق لا تتحقق إلا بوجود أثر فعلي لها في الواقع المعاش. وهنا تكون الأخلاق سلوكا وفعلا، شأنها شأن حقيقة التصوف "فحقيقة التصوف معلوم في السلوك"(١٠).

نستنتج من ذلك أن مفهوم الأخلاق عند التلمساني يرتبط بمفهومه للتصوف. على اعتبار أن التصوف في حقيقته سلوك وخُلُق، ومن أهدافه ترويض النفس وتهذيب الأخلاق. والبحث في الأخلاق عنده هو-أيضا- بحث في علم السلوك، وفي هذا يلتقي مع علم التصوف. فسبيل الصوفي هو التمسك بالأخلاق الحميدة حتى يرقى بروحه وجسده في مدارج الكمال الروحي إلى الله.

وهو ما يؤكده- كما يقول التلمساني- مفهوم الكتاني للتصوف. فيصرح الأخير أن: "التصوف خُلُق، من زاد عليك بالخُلُق، فقد زاد عليك في التصوف"(١١). ومن خلال هذا المفهوم يتضح أن صفاء النفس وتطهيرها مرتبط بتحقق العبد بحسن الخُلُق، وهذا ما أقر به التلمساني أيضا. كما يتضح أيضاً: أن مكارم الأخلاق هي إحدى مفردات التصوف. وهذا الترابط يدل على أن البحث في الأخلاق قديم قدم التصوف، كما أن ارتباط الأخلاق بالشريعة كارتباط صلب التصوف بالشريعة أيضاً.

نستنتج من ذلك أن حسن الخُلُق يؤهل للتعايش والاستقرار ونزع الشقاق بين الفرد والمجتمع. كما نستنتج أن التحقق بمكارم الأخلاق عند التلمساني يتناسب طرديا مع الترقي في مراتب الكمال الروحي إلى الله.

وفي هذا الترابط بين مفهوم التصوف ومفهوم الأخلاق يتضح لنا أن التلمساني يساير السابقين عليه من صوفية الإسلام، فقد ذكر الجنيد (ت٢٩٨هـ) عن التصوف أنه: تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة

الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، والوفاء لله على الحقيقة واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في الشريعة(١٢). وأكد أبو طالب المكي (ت٣٨٦هـ) على ارتباط الأخلاق بالعبادات ومنها الحج، والذي يؤتى ثمرته بأن يحسن العبد خُلُقه مع جميع الناس، ويلين جانبه ويخفض جناحه، ويكف أذاه عن الخلق، ويحتمل أذاهم(١٣). وذكر القشيري (ت٤٦٥هـ) أن: "الخُلُق الحسن أفضل مناقب العبد، وبه يظهر جواهر الرجال، والإنسان مستور بخَلْقه مشهود بخُلُقه"(١٤). وعلامة حسن الخُلُق عند القشيري: كف الأذى، واحتمال المؤن.

ومبنى التصوف عند الصوفية– ومنهم رويم– على ثلاث خصال: التمسك بالفقر والافتقار، والتحقق بالبذل والإيثار، وترك التعرض والاختيار(١٥). وهذا يعني أن وصف الصوفية يحدده وصف أخلاقهم وتجربتهم الروحية لا غير. كما أن تجربتهم الروحية يستضيئون فيها بنور النبوة وهديها، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به.

ولهذا وصف الغزالي (ت٥٠٥هـ) طريق الصوفية بأنه طريق مكارم الأخلاق على وجه الحقيقة، مصرحا في ذلك: بأن "الصوفية هم السابقون لطريق الله تعالى، خاصة وأن سيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا. فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من مشكاة النبوة"(١٦). فالصوفي يسعي في اكتساب الممكن من صفات الحق ويسعى للتخلق بها والتحلي بمحاسنها،

وبهذا يصير عبدا ربانيا، أي قريبا من الرب تعالى، وبه يصير رفيقا للملأ الأعلى من الملائكة[١٧]. فالصوفية– كما يؤكد شهاب الدين السهروردي (ت٦٣٢هـ)– أوفر الناس حظا من الاقتداء برسول الله– صلى الله عليه وسلم– وأحقهم بإحياء سنته[١٨].

وهذا يؤكد أن الصوفية يؤمنون بأن الدين في صميمه لا ينفك عن الأخلاق لأن الدين وإن كان يتضمن اعتقاد الإنسان بالإله الواحد، فإن ذلك يلزمه أن يتبع هذا الاعتقاد بالطاعة لأوامره والاجتناب عن نواهيه ولابد من أن يكون هذا دأبه ودينه مع الحق والخلق في آن واحد، ومن ثم كان جوهر الدين من الأمور الباطنة. ولما كان هذا هو شأن الدين أو ماهيته، فقد أصبح جامعا للاعتقاد والعمل في وقت واحد، وأضحت الأخلاق تبعا لذلك داخلة في نسيجه[١٩].

كما أن التصوف وإن كان طريقا للمعرفة بالله إلا أنه قبل ذلك يكمل بالأخلاق العالية، وهو الأمر الذي لا يتأتى إلا بترك حظوظ النفس وعلائقها، ومحاولة التشبه بالأخلاق الإلهية على قدر الطاقة الإنسانية[٢٠].

وبذلك يتأكد اتفاق التلمساني مع صوفية الإسلام في أن الأخلاق ضرورية لتماسك المجتمع وترابطه والتعايش فيه، وهذا صلب التصوف وحقيقته.

***

ثانياً: أنواع الأخلاق:

يؤكد التلمساني في مفهومه للخُلُق: أنه "الصفات المجموعة في الإنسان، فإن كانت حسنة فهو على خُلُقٍ حسن، وإن كانت سيئة فهو على

خُلُقٍ سيء"[٢١]. وفي ضوء هذا المفهوم يتبين لنا أن **الأخلاق نوعان:** محمودة ومذمومة.

١- **<u>الأخلاق المحمودة:</u>** وهي الفضائل المستحسنة، وهي مبدأ لما هو كمال. وأما الخُلُق العظيم، فهو خُلُق الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢- **<u>الأخلاق المذمومة:</u>** وهي الرذائل، وهي مبدأ لما هو نقصان وفساد.

وقد صرح التلمساني **أن الغيبة، والأنانية، والبخل، والإفراط أو التفريط: (ترك الاعتدال، وحب النفس)** من الأخلاق المذمومة؛ وفي ذلك يقول: "الغيبة: نجاسة"[٢٢]. و"الأنانية: نجاسة"[٢٣]. و"البخل يغطي جميع المحاسن. كما أن الكرم يغطي جميع العيوب"[٢٤].

ومرجع الصفات المذمومة الحب المفرط للنفس، والطمع في تحقيق متطلباتها. وخلو العبد من الاعتدال، ووقوعه إما في الإفراط أو التفريط. ووصول الإنسان بأخلاقه إلى حد الاعتدال هو المطلوب لسلامته ونجاته من المهالك، وهو الدليل على سمو الإنسان وتحققه بالفضائل.

فالاعتدال عند التلمساني: يتحقق "بأن تكون صورة الشيء معادلة لمعناه من غير ميل، ومعناه هو ما لأجله ظهرت الصورة على ما هي عليه، وهذا يعم كل مخلوق"[٢٥].

نستنتج من ذلك أن الأخلاق التي يقرها التلمساني هي الأخلاق الحسنة التي يقرها الإسلام، والتي تراعي مطالب البدن والروح معاً، وتتسم بالاعتدال

بين متطلبات الإنسان وتراعي حاجاته الروحية والمادية ، دون زيادة أو نقصان.

وتفاوت البشر في التحقق بالاعتدال، مرجعه عند التلمساني إلى تفاوت حبهم لأنفسهم، وتفاوت الطبيعة التي وضعت فيهم، والأخلاق التي يتوقون إليها. فمن تنافرت طباعه تنافرت أخلاقه وفسد مزاجه. أما الخواص فهم من تحققوا بالاعتدال والاستقامة على مراد الله، ومن ثم تحققوا بمكارم الأخلاق.

وفي تفاوت تحقق البشر بالاعتدال ذكر التلمساني: أن "منهم: من يغلب عليه **الركن الناري** وهو الصفراء، فيكون طياشا خفيفا يتسرع إلى الأقوال والأفعال التي لا يتثبت فيها فيقع منه الفساد، يفعل ما لا ينبغي في الوقت الذي لا ينبغي. ومنهم من يغلب عليه **الركن الهوائي** وهو الدم، فيجد في جسده قوة تأمره بالانتقام ممن لا يستحق أن ينتقم منه. ومنهم: من يغلب عليه **الجزء المائي** وهو البلغم، فيكون قاصرا عن الحركة فيما يجب أن يتحرك فيه، فيفوته ما يجب في الوقت الذي يجب، ويستبرده من غلب عليه الركن الهوائي الدموي فينشط إلى إفساد حاله، لأنه يطمع فيه لرخاوته هذا في طبع البشر. ومنهم: من يغلب عليه **الركن الترابي**، فيكون السوداء غالبة عليه فيكون صاحب توهم ووسواس وأفكار ردية، فيفعل بمقتضاها ما لا يجب ويفوته ليبس مزاجه ما يجب. وهذه أحوال كلها تقتضي الفساد... أما **الخواص** من بنيه... لهم الاعتدال الذي يقتضي لهم أن يكون نشأتهم جامعة لأسماء إلهية ليست عند الملائكة"(٢٦).

في النص السابق يصرح التلمساني بأنه من تغلب عليه ركن من تركيبه على باقي الأجزاء والأركان فقد جانب الصواب ولم يصل إلى حد الاعتدال. وقد اعتمد التلمساني على قاعدة **(لا إفراط ولا تفريط) ليصل**

الإنسان إلى حد الاعتدال. فالاعتدال سبيل الفضائل والأخلاق الكريمة. ويجعل العبد يرى عجزه وتقصيره أمام إرادة الخالق العظيم، فيصير خليفة الرحمن "فسماه خليفة؛ إذ في قوته أن يكون خليفة شيطان أو خليفة رحمان، فمتى أمر نفسه بما أمر به ربه كان خليفةً على نفسه لربه، وكذلك يكون خليفة من قام بأمره"[٢٧]. وقد أرجع محيي الدين بن عربي (ت٦٣٨هـ): العلة الموجبة لاختلاف الأخلاق، بأنها النفس، فللنفس ثلاث قوى، وهي تسمى أيضا نفوسا. وهي النفس الشهوانية، والنفس الغضبية، والنفس الناطقة. وجميع الأخلاق تصدر عن هذه القوى[٢٨].

***

ثالثاً: درجات الأخلاق:

تقع الأخلاق عند التلمساني في ثلاث درجات، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

الدرجة الأولى:

الدرجة الأولى من درجات الأخلاق: **(أن يعرف الإنسان مقام الخلق، وأنهم بأقدارهم مربوطون)**، أي: أن تعرف أن الناس يسيرون وفق إرادة خالقهم. ولهذا هم مربوطون بمقاديرهم. ثم تعلم أن كل أحد لا يخرج عن مقداره. ولهذا لا ينبغي أن تطلب من الناقص كمالا ما دام ناقصا، ولا من الكامل نقصا ما دام كاملا، فإن فعل الكامل النقص فهو كامل بذلك النقص، وإن ذلك النقص كمال في حقه، وتسميته نقصا مجاز، وإنما يكون نقصا من الناقص[٢٩].

وهذا يجعله يتخلق بخُلُق كريم، فيتعايش مع الناس بالمعروف ولا يكلفهم ما لا يطيقون. فيعرف الإنسان "كيف يعاشر الناس، وهو أنه يجب

عليه أن يعرف مرتبة من يعاشره، فيأتيه من حيث يحب، ولا يعاشره بما يكره"[٣٠]. وهذا من حسن الخُلُق والتعايش السلمي مع الناس.

فحُسن الخُلُق يجعله لا يُكرِه الناس على ما لا يريدون فعله أو قوله، فيفرض عليه "حسن الخُلُق ألا يطلب من أحد إلا ما يقدر عليه، ويعذره في عجزه عما هو محبوس عنه، فلا يطالبه به"[٣١]. فمن ثمرات محاسن الأخلاق شهوده لأحكام القدر في نفسه وفي غيره. فتستفيد من هذه المعرفة ثلاثة أشياء: كف الأذى، ومحبة الخلق إياك، ونجاة الخلق بك[٣٢]. وتتحقق نجاة الخلق بك: أي أن تبذل لهم معروفك الدنيوي والأخروي، فينجون منك، فلا يتأذون، وينجون بك إذا أرشدتهم إلى طريق سعادتهم الأخروية، فلا يشقون. ويتضح من ذلك حقيقة التصوف عند التلمساني من أنه علم للسلوك والأخلاق، وفي ذلك يقول: "حقيقة التصوف معلوم في السلوك"[٣٣].

وفي رأيي أن هذه الدرجة تظهر القيمة الأخلاقية التي تنعكس من الفرد على مجتمعه. فكف الأذى، ومحبة الخلق إياك، ونجاة الخلق بك، أمور تحمل أخلاقيات التسامح والتراحم التي تسد أي تفاوت بين أفراد البشر، وتجعلهم يتعايشون في سلام ووفاق. كما تؤكد على استقرار المجتمع وعموم السكينة والتراحم فيه. وهذه الأخلاقيات هي عماد التصوف الإسلامي وأسسه التي تنشر قيم التعايش بين أفراده، وتتغاضى عن أي اختلاف (ديني أو عرقي أو ثقافي أو... أو...). ومن ثم فأخلاق التصوف عملية تطبيقية، ينعكس أثرها الفعلي على المجتمع في كل حركاته وسكناته. ومن هنا فهي تخدم تفكير الإنسان المعاصر في أفعاله وأقواله، كما توثق صلته بربه.

الدرجة الثانية:

أما الدرجة الثانية من درجات الأخلاق فيحددها التلمساني في صفة **(حُسْن خُلُقِ الإنسان مع الله تعالى)**. وهو أن تعلم أن الناقص لا يأتي منه إلا النقص، والعبد بالنسبة إلى ما يجب عليه لله تعالى ناقص، فكل ما يأتي به هو ناقص، والنقص يجب العذر منه، فيفهم من هذا أنه "يجب على العبد أن يعتذر من كل ما يبدو منه حسنا كان أو سيئا، فإن الحسن ناقص بالنسبة إلى ما يجب عليه، فيُكملَهُ بالاعتذار، وهذا هو من حُسن الخُلُق مع الله تعالى... وإن كل ما يأتي من الحق تعالى يوجب شكرا، يعني أن الحق تعالى لا يفعل مع عباده إلا الخير"[٣٤]. فكل ما يرد من الحق تعالى خير، فيجب على العبد الشكر له.

وفي رأيي أن هذه الدرجة توثق صلة العبد بخالقه، وهذا ينعكس بلا شك على المجتمع، لأن البشر بهم نقص فطري، فيلتمس منهم العذر لعل الله يجبر ما بهم من نقص وتقصير. وهنا أيضا تتوثق قيم التعايش بين البشر وتسوده أخلاقيات التسامح والتراحم ودحض العنصرية.

الدرجة الثالثة:

أما الدرجة الثالثة من درجات الأخلاق فيؤكد التلمساني أن هذه الدرجة تنحصر في **(التخلُّق بتصفية الخُلُق)**، أي بتكميل ما في الدرجتين الأوليين، ثم ينتقل من ذلك إلى ما فوقه، ثم الصعود عن تفرّق التخلُّق إلى الحق، يعني أن يشتغل الإنسان بالسلوك إلى الله تعالى، فإن التخلق بالأخلاق الحسنة هو التصوف. وهذه الدرجة تحوي الترقي أي "الصعود عن تفرق التخلق، وإنما كان التخلُق تفرّقاً لأن التخلُّق اشتغال بالغير، والسلوك يقتضي الاشتغال بالحق تعالى عما سواه"[٣٥]. وهذا يقتضي السمو من التفرقة إلى

الجمع. أي أن "التخلق بمجاوزة الأخلاق، يعني ثم أن يتصف بالغيبة عن التخلق والأخلاق، وهذه الغيبة على مراتب، فأقلها الاشتغال بالله تعالى عن كل ما سواه، وأعلاها الفناء في الفردانية، وهي حضرة الجمع، وما بين ذلك من المراتب، وكلها لا نصيب قبلها للاكتساب، لكن العبد يتعرض لنفحات المواهب الإلهية لعلها تنفح، وينتظر ليل الحجاب لعله يصبح"(٣٦).

نستنتج من ذلك أن الإنسان في هذه الدرجة– كما يؤكد التلمساني– يرقى حتى يصل إلى الفناء عن كل ما يشغله عن الحق ويبقى بالحق. فيتحقق بمعاني الأسماء الإلهية، ويتخلق بالأخلاق الإلهية بقدر الطاقة البشرية، ويصير خليفة الله. ومنه تفيض محاسن الأخلاق على غيره من البشر. فالحق "جعل صفات الخليفة هي صفات المستخلف ليرد الأمر كله إلى عين واحدة هي وجوده تعالى"(٣٧). فيهبه الله تعالى معرفة أو علم بلا واسطة، فيشهد قيومية الحق تعالى على الوجود كله. ويهبه الله الذوق ليفرق به بين الخير والشر والحق والباطل "فالذوق عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق تعالى بتجليه في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب ولا غيره"(٣٨).

وفي رأيي أن هذه الدرجة من درجات الأخلاق توثق صلة العبد بخالقه، وتنعكس على غيره من البشر. فمن خلال تخلقه بالأخلاق الإلهية تنكشف الحقيقة لبصيرته، وهذا يجعله يفرق بين الحق والباطل، والفضيلة والرذيلة. كما تجعله لا ينشغل إلا بالحق تعالى وهذا أيضا يجعله يتسامح ويتراحم ويتعايش مع غيره من البشر بسهولة ويسر وبدون تكلف.

الجدير بالذكر أن التلمساني لم يتطرق إلى ربط الأخلاق بالفناء إلا في مواضع قليلة، كما لم يتطرق إلى ربط الأخلاق بقضايا الوجود، كما فعل

متفلسفة الصوفية– سواء الذين سبقوه أو الذين عاصروه– ولعل هذا التقصير في تحليله للأخلاق والفناء والوجود يؤخذ عليه.

***

رابعاً: ارتباط الأخلاق بالتهذيب والرياضة والتطهير والأدب:

يضع التلمساني عدة مصطلحات مرتبطة بمفهومه للأخلاق، كما يأتي: (أولاً: التهذيب، وثانيا: الرياضة، وثالثا: التطهير، ورابعا: الأدب).

أولا: التهذيب: ويعني التلمساني به: "اكتساب الأدب والعلم... والاختبار والتطهير"(٣٩). وتهذيب القصد "إنما يطلب منك الخروج عن رؤية العمل، والخروج عن الأجر والأجرة "(٤٠). فلا تدعي لنفسك إرادة على العمل وإنما تنسب الفعل لله وحده، فتخرج بهذا من الحول والقوة، إلى رحاب خالق الأكوان. وهذا الخُلُق من آداب العبد مع خالقه.

ثانيا: الرياضة: ويعني التلمساني بالرياضة أنها: "تمرين النفس حتى تعتاد الخير وتنقاد سريعا إليه"(٤١).

وفي هذا يتفق التلمساني مع الحكيم الترمذي (ت٢٩٦هـ) الذي صرح بأن الرياضة: مشتقة عربيتها من الرّض، وهو الكسر، وذلك أن النفس اعتادت اللذة والشهوة، وأن تعمل بهوواها، فهي متحيرة، قائمة على قلبك بالإمرة، وهي الإمرة بالشهوة، فيحتاج إلى أن يفطمها، فإذا فطمها عن العادة انفطمت. ووجدت قرب الله تعالى، وحلاوة اختيار الله عز وجل، ولم تحن إلى الشهوات(٤٢).

ثالثا: التطهير: ويعني التلمساني به: التطهر "من دنس السوى... وصفة الطهور الإعراض عما سوى المطهر الحق تبارك وتعالى، والطهارة لا

تكون إلا بالحق، ولا قدرة للخلق على تحصيلها لأنها الفناء عن رؤية الخلق"[٤٣]. والتطهير سبيل للتحقق بمكارم الأخلاق، فلا يحظى العبد بالأخلاق الحسنة إلا إذا تطهر من الأعراض والسوى ويبقي بالحق وحده. والتطهير في مجملة يحوي التخلص من براثن المادة ورذائلها والسمو إلى مكارم الأخلاق وفضائلها، ليرقى العبد في طريقه إلى الله.

وهنا يتفق التلمساني مع ابن سينا في أن التطهير يعنى الحرية من رق الأغيار والصور. فإذا اتصلت النفس بخالقها ارتقت وتحققت بالفضائل وارتسمت في مرآتها العلوم والمعارف الربانية، وإذا انفصلت عنه إلى العالم المادي فسدت وضلت. فإذا بلغت النفس الكمال في العلم، بالفطرة أو بالاكتساب تصير مضاهية للعقل الفعال، وإن كانت دونه في الشرف والعلم[٤٤].

وفي رأيي أن غاية التطهير هو الوصول إلى صفاء النفس، وهذا يتحقق بالقضاء على شهوات البدن والتخلص منها. وهنا أتفق مع الدكتور أحمد صبحي عندما قال: "ليس التصوف مجرد تعبد وإنما أخلاق"[٤٥]. فلم يعرف في تاريخ المذاهب الأخلاقية قوم اشتدوا في تطهير النفس كما فعل الصوفية، وليس بين المرتاضين على الفضيلة والأخلاق من استندوا إلى إرادة وهمة تغلب إرادة الصوفية وهمتهم، فقد ذهبوا بالعمل إلى مداه[٤٦].

وهذا يعني أن الأخلاق التي يرثها مُطهر القلب ليست أخلاقا فرعية، وإنما أخلاق أصلية، وليست أخلاقا ظاهرة، وإنما أخلاق باطنة، ولما كانت كذلك، لزم أن تحدث تحولا جذريا في الإنسان، يخرجه من هوية إلى أخرى كأنما ولد من جديد وكتب له تاريخ جديد[٤٧]. نستنتج من ذلك أن تطهر النفس من الدنيا وشهواتها يوصل الإنسان للتأمل المطلوب من التجربة

الروحية، وفي هذه اللحظة يعرض عن النفس[٤٨]. فللتصوف طريقة خاصة للتعامل مع الواقع، من خلال الحدس والتجربة الروحية، والتي تقوم على تطهير وممارسات روحية تؤهل لسلوك الطريق[٤٩].

الجدير بالذكر أن التلمساني لم يتطرق إلى ربط الأخلاق بالنفس وأنواعها ووسائل تطهيرها بالشكل الكافي. مما يدل على وجود أوجه تقصير في طرحه للأخلاق. وهذا في رأيي يؤخذ عليه.

رابعا: الأدب: ويعني التلمساني به: أنه خُلُق يرتبط بالخلق بعضهم ببعض، وهو الوسطية والاعتدال في الفعل، فلا إفراط ولا تفريط. وهنا مكمن الأمان النفسي والروحي والشرعي، فالاعتدال مكمن النجاة في الدنيا والآخرة. فالواجبات والحقوق لا تتحقق بالإفراط أو بالتفريط وإنما تنال بالاعتدال. وهنا يصرح التلمساني **بأن معنى الأدب:** "أن يتأدب مع الخلق، ويحفظ في الأدب معهم طريقا وسطا بين الغلو في إكرامهم والجفا عليهم، أما الغلو، فهو أن يفرط في إكرامهم بما لا يجوز في الشرع"[٥٠]. وأما الجفاء : فهو أن "تعامل الخلق باطراح الأدب معهم، وتضييع حقهم، وتسميتهم بأبغض أسمائهم إليهم، مثل الألقاب... فالطريق السالكة هي الحد بين الغلو والجفاء، فمن حفظ هذا الحد فقد قام بالأدب"[٥١].

وقد ربط التلمساني بين التقرب إلى الله وبين حصول الأدب للإنسان، فأنشد قائلا في ديوانه:

" فقدموا سجدة وهم زمر *** لغافر سبح اسمه الأدب

عينت العين منهم أثرا *** لأنهم في بقائها سُلِبوا "[٥٢].

كما يتفق التلمساني مع الصوفية في الإقرار بأنه: من قهر نفسه بالأدب فهو يعبد الله تعالى بالإخلاص. فأدب النفس: أن تعرفها الخير فتحثها عليه وتعرفها الشر فتزجرها عنه.

وأهل الدين أكثر آدابهم في رياضة النفوس، وتأديب الجوارح، وترك الشهوات، والمسارعة إلى الخيرات(٥٣).

والأدب عند التلمساني يقع في ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن لا يحكم على قلبه الخوف من العقوبة، بحيث ييأس من الرحمة، فإن هذا مما يزري بالأدب، وصاحب هذا ناقص، لأنه نسي أن رحمة الحق تعالى تغلب غضبه(٥٤).

الدرجة الثانية: كيف يحفظ الحد بين المقامات حتى لا يحصل التعدي الذي هو سوء الأدب. فيرتقي عن مقام الخوف والرجاء إلى أصولهما، فإن أصل الخوف القبض، وأصل الرجاء البسط، أما بالنسبة إلى السلوك، فإن الخوف جسم، والقبض روحه، والرجاء جسم والبسط روحه(٥٥).

الدرجة الثالثة: أن يغلب عليه شهود من أقامه في الأدب، وهو الحق تعالى، فينسب الأدب إلى فعل الحق تعالى، ويفنى عن رؤية نفسه، فذلك هو الفناء عن التأدب بتأديب الحق تعالى، ويفنى عن رؤية نفسه، فذلك هو الفناء عن التأدب بتأديب الحق(٥٦). وبهذا يتحقق له الخلاص من شهود أعباء الأدب، فيفنى عن مشاهدة الأدب أصلا ورأسا، وذلك لاستغراقه في شهود الحقيقة في حضرة الجمع التي غيبته عن الأدب فيها. وهذا "هو الأدب حقيقة، فيستريح من كلفة حمل الأدب وأعبائه، والأعباء هي الأثقال، وإنما ينحط عنه حمل الأدب إذا فني رسمه"(٥٧).

وقد يدل في العربية على الأخلاق بالأدب. والأدب عبارة عن معرفة يحترز بها من جميع أنواع الخطأ[٥٨]. كما أن حقيقة الأدب عند الصوفية تتحقق باجتماع جميع خصال الخير. فالأديب: هو الذي اجتمع فيه خصال الخير[٥٩]. وقال ابن عطاء: الأدب: الوقوف مع المستحسنات، بأن تعامل الله بالأدب سرا وعلنا، فإذا كنت كذلك كنت أديبا[٦٠].

***

خامساً: **شروط التحقق بالأخلاق الحسنة**:

يؤكد التلمساني أن إمكان التحقق بالأخلاق الحسنة، هو الوصول إلى حد الاعتدال، وهذا يتطلب ثلاثة أشياء: **(الجود، والصبر، والعلم)**، وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً: الجود: ويعني التلمساني به، أن الجود يجذبه إلى المسامحة بحقوق نفسه، ويدعوه إلى بذل نفسه في حقوق غيره، فالجود هو أصل الخير كله "فالكرم يغطي جميع العيوب"[٦١].

ثانياً: الصبر: ويعني التلمساني به، أن من عَلِمَ مواقع بذل المعروف، وكان جوادا به، فإنه يحتاج إلى الصبر، إذ المداومة على بذل المعروف مشقة عظيمة تحتاج إلى أن يستعين عليها بالصبر، فهذه الثلاثة أشياء بها يُدرك التصوف، والتصوف زاوية من زوايا السلوك في الحقيقة، بل هو تزكية النفس لتقبل بعد ذلك السلوك، غير أن أهل الطريق يسمون الصوفية، مع أنهم فوق مقام التصوف[٦٢].

ثالثاً: العلم: ويعني التلمساني به، أن العلم يرشده على مواقع بذل المعروف ليضعه في مواضع بترتيب معتدل. وهنا يرتبط العلم بالعمل؛ أي

يرتبط بالثمرة الحقيقية الناتجة عنه والتي تظهر في الأفعال. والتلمساني يؤكد أن العلم من أهم صفات خواص البشر، فهو يحقق لهم الاعتدال المطلوب "**الخواص** من بنيه... لهم الاعتدال الذي يقتضي لهم أن يكون نشأتهم جامعة لأسماء إلهية ليست عند الملائكة"(٦٣).

كما يستفيض التلمساني في هذه الدرجة فيؤكد: أن السير إلى الله تعالى "إنما يكون بالعلم، أي بالعمل النافع، وهو عمل بمقتضى الأمر والنهي اللذين وردا عن الحق تعالى... أما الحلال والحرام فلأنهما محل الأمر والنهي؛ فيرجعان إليهما ضرورة، فإذن الأمر والنهي هما محل تعرف العلم، وأما المعرفة فإنما تخبر عن حقه تعالى... فمحل المعرفة هو حقوق الله تعالى وهي أسماؤه وصفاته والإخبار عنها"(٦٤). والمعارف لا تكون إلا إخبارات عن معاني أسمائه تعالى، وهي حقوقه على عباده "والعمل الصالح هو ما كان بمقتضى العلم النافع" (٦٥).

ومن هنا جاءت أهمية العلم في سمو أخلاق الإنسان وفي صلاح عمله "فحاجة المبتدئ المحجوب في ابتداء طلبه إلى العلم النافع ليهتدي به إلى العمل الصالح... ولهم حوائج كثيرة منها ما هو بحسب النفس وهو إعراضها عما يوقفها دون المطلوب من مقاصد دنية وصفات مذمومة وتعلق بما فيه شائبة الهوى أو مقاصد الرياء"(٦٦).

نستنتج مما سبق **أن العلم سبب ضروري ينال به حُسن الخُلُق** كما يؤكد التلمساني. فالحياة إن لم يصحبها العلم كانت "حيوانية بهيمية وإن صحبها العلم كانت حياة إنسانية أو ملكية، فالعلم هو الذي رقى من هو له عن درجة البهائم الشبيهة بالأموات فصيره في درجة الحياة التي تبقى بعد الموت فهو روح الحياة"(٦٧).

سادساً: الأخلاق الحسنة (مكارم الأخلاق):

يؤكد التلمساني أن الأخلاق الحسنة ضرورية للإنسان لكي يبلغ رتبة إنسانيته (أي كماله وخلافته في الأرض) التي خُلِقَ لها. وأيسر الطرق للتحقق بالأخلاق الحسنة هو التأسي بمن كان خُلُقه القرآن، سيدنا محمد– صلى الله عليه وسلم– ففي خُلُقه المحاسن والسعادة كلها. وهنا استدل التلمساني بقوله سبحانه: **(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم)** (سورة القلم، الآية:٤). فقد أمرنا الحق سبحانه بالتأسي به في كل أخلاقه وأفعاله وأقواله، لنحظى بسعادة الدارين "فالرسول– صلى الله عليه وسلم– إنما كان خُلُقه عظيما، لأنه تخلق بأخلاق مستفادة من القرآن العظيم، ومن تخلق بعظيم كان خُلُقه عظيما.

نستنتج مما سبق أن الأخلاق الحسنة تتحقق عند التلمساني إذا تأسى الإنسان بأخلاق سيد الخلق محمد– صلى الله عليه وسلم– في أقواله وأفعاله وجميع أمور حياته. فمن تخلق بأخلاقه يصل إلى أعلى مراتب الكمال الخُلُقي فتصبح أخلاقه الحسنة سجية. أي تصبح وصفا لازما له لا يتغير ولا يتبدل ولا يعرف إلا به. فالسجية هي: "الخُلُق الساكن، سجا البحر: سكن فلم يحركه هواء، فلا كدَّ فيه من فوقه ولا من تحته، والسكون ها هنا بمعنى ثبوت الصفات، بحيث عادت سجية ونعتا لازما"(٦٨).

وقد آثر التلمساني استخدام مصطلح: (مكارم الأخلاق)، ومصطلح (حُسْن الخُلُق) في العديد من النصوص والمؤلفات، ليؤكد على رغبته الملحة في توضيح حقيقة ارتباط حياة الإنسان على الأرض بالأخلاق الكريمة. فيصرح على سبيل المثال لا الحصر: "**حسن الخُلُق** ألا يطلب من أحد إلا ما يقدر عليه، ويعذره في عجزه"(٦٩). وكذلك: أما "الرغبة في **مكارم**

الأخلاق: يعني أن كل من كان محبا في **مكارم الأخلاق**، فإنه يؤثر على نفسه، لأن الإيثار من أحسن **مكارم الأخلاق**"[٧٠].

وقد كانت مكارم الأخلاق أو محاسن الأخلاق عند التلمساني تتخلل كل مقام في الطريق الروحي إلى الله، فلا يسعى العبد إلى ربه بصفة أو مقام إلا وتنعكس ثمرتها الروحية على نفسه-بتحسن أخلاقه- وعلى غيره من البشر (مجتمعه) بعموم روح التراحم والتسامح والأخلاق الكريمة.

والأخلاق الحسنة عند التلمساني تشمل: (الصبر، الرضا، الشكر، الحياء، الصدق، الإيثار، التواضع، الفتوة، الانبساط، مراعاة الحرمات، الإخلاص، التوكل، التفويض، التسليم، الثقة، المراقبة). وبيان ذلك فيما يأتي:

١- الصبر:

يؤكد التلمساني أن الصبر أول خُلُق يجب أن يتحلى به العبد ليحظى برتبة إنسانيته المنوط بها تشريفه وتكريمه. وبالصبر ينال الإنسان ما يصبو إليه، ويتميز عن غيره. فالصبر في البلاء، لأجل ما يحصل من حسن الجزاء، فإنه إذا لاحظ ما أعد الله تبارك وتعالى للصابرين من الخير صَبَر ليحصل له نصيب من ذلك[٧١].

ويصرح التلمساني بأن للصبر درجات: (الصبر على المكاره، والصبر عن المعصية خوفا من الله، والصبر على المعصية حياء من الله). وبيان ذلك فيما يأتي:

الدرجة الأولى: الصبر على المكاره: وذكر فيها: "الصبر حبس النفس على المكروه... فمن تمام الصبر أن يكتم ما أصابه من المكروه"[٧٢]. وهذا

المقام صعب على العامة، لأنه مبتدئ فإذا امتحنه الحق تعالى بالبلاء أدركه الجزع، وذلك لأنه ليس من أهل الرياضة، فيكون قد اعتاد البلاء، واستوطن الصبر، وليس من أهل المحبة، فيكون ملتذا بالبلاء في المحبوب الحق تعالى[٧٣].

الدرجة الثانية: الصبر عن المعصية خوفا من الله، وذكر فيها: "الصبر عن المعصية، فظاهر حضوره على الخاطر، وذكره بالقلب... أي يصبر عن المعصية ليبقى إيمانه سالما، والإيمان هو التصديق، ولولا التصديق بالعذاب لما صبر عن المعصية بمطالعة الوعيد"[٧٤]. فالصبر عن المعصية من مقتضيات أمان العبد من العقوبة. فالوعيد هو التهديد بعذاب الآخرة. فالحرام لا يُخاف منه وإنما يُخاف من العقوبة عليه.

الدرجة الثالثة: الصبر عن المعصية لأجل الحياء من الله تعالى، وذكر فيها: أن هذه الدرجة أحسن من الصبر عن المعصية خوفا، لأن الحياء شيم الأشراف والأحرار، والخوف في العادة شيم العبيد والأشرار[٧٥].

والتلمساني يصرح هنا: بأن الحياء من الله تعالى يدل على حضور القلب مع الله. وهذا يتطلب غيبته عن العقوبة، فالخوف من العقوبة يشغل القلب عن دوام الحضور مع الله تعالى. فصاحب الحياء حاضر مع الله تعالى، وصاحب الخوف غائب "وكلا المقامين يدل على قوة الإيمان، غير أن الحياء يدل على ما فوق الإيمان، وهو مقام الإحسان... والحياء إنما يكون أن تعبد الله كأنك تراه، ولولا ذلك لما استحى"[٧٦].

كما يؤكد التلمساني أن الصبر على الطاعة فوق الصبر عن المعصية، وذلك لأن الصابر عن المعصية مشتغل بقلبه في وسواسها، والمشتغل بالطاعة سالم من هذا الوسواس، فمقامه فوق مقام ذلك الآخر، خصوصا إذا

صبر على دوامها، وحافظ عليها، والمحافظة هي حفظها من النقص، وفعلها في أوقاتها المشروعة من غير تفويت(٧٧). فيراعي فيها معنى الإخلاص، فلا يمزج عمله بشيء من الرياء. فيأتي بالطاعة على مقتضى العلم الظاهر "فلا يخالف بها المشروع، ولا يخل فيها بشيء من الشروط المعتبرة في علم الشريعة المطهرة، فإن ذلك مما يحسِّنها عند الله تعالى، وهذه درجة الصبر "(٧٨).

ويفرق التلمساني بين نوعين من الصبر: الصبر لله ، والصبر بالله، وبيان ذلك فيما يأتي:

أولا: "الصبر لله، أي لأجل ثواب الله... فالصبر خوف عذاب الله، أي عن المعصية، وكلاهما من درجة العامة، ولذلك هو صبر العامة"(٧٩).

ثانيا: "الصبر بالله، أي بقوة الله تعالى، ويعني أن حال المريدين يقتضي أن يروا أنه لا قوة لهم على الصبر إلا بالله، وهو شهود لا حول ولا قوة إلا بالله"(٨٠).

ثم يؤكد التلمساني على صفة جديدة تستتبع الصفتين وهي (الصبر على الله)، وفي ذلك يصرح: "وفوقهما الصبر على الله، أي الصبر على أحكام الله إذ هم يرون أن المتصرف فيهم هو الحق تعالى، فهم يصبرون عليه راضين بأحكامه مع مكابدة الألم، وهي درجة صبر السالكين"(٨١).

٢- الرضا:

يعني التلمساني بالرضا: الوقوف الصادق مع مراد الحق تعالى حقيقة من غير تردد في ذلك. فالرضا يجعل العبد "لا يريد مزيدا على ما هو فيه... ولا يطلب أن يتغير حاله، فإن ذلك اختيار، وهو قد خرج عن اختيار

نفسه"[٨٢]. ولذلك: "لما خاطب النفس بالرجوع إليه تبارك وتعالى شرط عليها الرضا، فكأنه قال: لا سبيل لك إلى الرجوع إلى ربك إلا بالرضا، فإذن لا سبيل للمتسخط إلا الرجوع إليه، إذ الدخول في الرضا شرط الرجوع إليه"[٨٣]. أي تصبح راضية مرضية، وهو حال النفس المطمئنة.

فسلوك أهل الخصوص هو بالخروج عن النفس، ولاشك أن الخروج عن الإرادة هو مبدأ الخروج عن النفس، وبهذا يكون الرضا من أوائل مسالك الخاصة. **ويقع الرضا في ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: (الرضا بالله): أي لا يتخذ له ربا غير الله تعالى، فهو يرضى بعبادة الله تعالى، ويسخط عبادة ما دونه، أي لا يرضى عبادة ما دونه. فالرضا هو مقام الإسلام، وهو مضمون قولهم: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا، اللهم أمتنا على ذلك وأحينا عليه، وأدم لنا ما وهبتنا من معارفك[٨٤].

الدرجة الثانية: (الرضا عن الله تعالى): وهذا من أوائل مسالك الخصوص، فإنه يحتاج أن يبين لأي شيء كان مختصا بأهل الخصوص. وذلك لأن هو مضمونه الخروج عن الحظوظ، وذلك أن كل من رضي بجميع ما قضى الله تعالى وقدر، كان واقفا مع إرادة الله تعالى، لا مع إرادة نفسه، وهو أنه مقدمة للخروج عن النفس، والخروج عن النفس هو طريق الخاصة[٨٥]. فلم يبق له حظ ولا ميل إلى جهة، فعلى أي شيء يخاصم الخلق، فإذن تسقط منه خصومة الخلق، ولا يسأل أحدا حاجة.

الدرجة الثالثة: (الرضا برضا الله تعالى): أي يقيم رضا الله تعالى مقام رضاه، فيرى أن رضاه فرع عن رضا الله تعالى، فهو من جملة رضا الله تعالى، وذلك لأن إرادته سقطت، والرضا نوع من الإرادة، فإذا ارتفع وجود

الإرادة التي هي الأصل، ارتفع معها الرضا الذي هو فرعها، فلا يجد لنفسه رضا ولا سخطا، وإذا لم تبق إرادة لم يكن له شيء يبعثه على ترك التحكم، فلا يرى شيئا بالنسبة إليه أميز من شيء، ولو دخل النار، فلا يراها أميز عنده من الجنة لاستغنائه بإرادة الحق تعالى عن إرادته. "وهذا القدر يدل على صحة العبودية، وهو لا يحصل إلا لأهل مقام المحبة الصادقة، وقد ذقت هذا المقام والحمد لله تعالى"(٨٦).

ويؤكد التلمساني أن هذا الخُلُق قد عاينه- تحقق به- هو نفسه في عدة مواقف (مواطن)، منها:

الموطن الأول: أني أشرفت على القتل بسيوف الفرنج- خذلهم الله تعالى- فنظرت إلى قلبي، فلم أجد تفاوتا بين الحياة والموت، رضا بحكم الله تعالى لغلبة سلطان المحبة.

الموطن الثاني: أني أشرفت على الغرق، فنظرت إلى قلبي فلم أر تفاوتا بين الحياة والموت، رضا بحكم الله تعالى.

الموطن الثالث: قيل لي: احذر من طريق الصوفية إن فيها أمورا تزل فيها القدم، فنظرت إلى قلبي، وصححت عقد الرضا مع ربي، وقلت: أأعرض بعد الإقبال، وأخاف مع صحة محبتي لله تعالى من الضلال؟ ففاضت عيناي بالدموع، وسرت في وجودي نشوة الخشوع والخضوع، وأخذتني حالة وجد كدت فيها أن أفارق نفسي بعد غيبة حسي. أنا في عنان إرادة المحبوب أجري لا محالة(٨٧).

٣- الشكر:

يعني التلمساني بالشكر: الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع له بالقلب والقالب. وهو مرتبط بالمنعم سبحانه وتعالى وليس بمعرفة النعم فقط. فمعرفة النعمة هو إحضارها في الخاطر، وتمييزها في الذهن، بحيث يتميز أنها نعمة. فإن العبد إذا عرف النعمة تسبب في التعرف إلى المنعم، فسلك طريق التعرف إليه، وجد في الطلب له "فمن شكر على النعمة فقد عرفها، ويستحيل أن يشكر النعمة من لا يعرفها، فلما رأى بين الشكر ومعرفة النعمة هذا التلازم جعل أحدهما اسما للآخر، والشكر في لغة العرب هو الثناء على المنعم، مما يدل على أنه قد عرف نعمته، واعترف له بها، وحسن موقعها عنده، وخضع قلبه لذلك، والاعتراف بالنعمة من جملة شكرها"(٨٨).

والثناء بها: أي أن "يصف المنعم بالجود والكرم وشبه ذلك مما يدل على حسن تلقيك لإنعامه واعترافك له بنزول مقامك في الرتبة عن مقامه، فإن اليد العليا خير من اليد السفلى مطلقا"(٨٩). فقبول النعمة وهو تلقيها من المنعم بإظهار الفقر والفاقة إليها، فإن ذلك شاهد بقبولها حقيقة.

ويقع الشكر عند التلمساني في ثلاث درجات(٩٠):

الدرجة الأولى: الشكر على المحاب: والمحاب هي الأشياء المحبوبة، فالمحاب ضد المكاره. فالشكر على الإحسان الواصل من الرحمن واجب على الإنسان. فمن وصل إحسان الحق تعالى فشكر، فقد قام بما يجب عليه.

الدرجة الثانية: الشكر في المكاره: ويصرح التلمساني أنه على وجهين:

الوجه الأول: إما من رجل لا يميز بين الحالات، بل يستوي عنده المكروه والمحبوب، فإذا نزل به المكروه وشكر الله تعالى عليه، فشكره إنما هو إظهار للرضا بما نزل به.

والوجه الثاني: إما من رجل يميز بين الأحوال، فهو لا يحب المكروه ولا يرضى بنزوله به، فإن نزل به مكروه فشكر الله تعالى عليه، فشكره إنما هو لكظم الغيظ الذي أصابه، أي ستر الغيظ، وستر الشكوى، وإن كان باطنه شاكيا، وكظم الغيظ منه إنما هو لرعايته للأدب ولسلوكه مسلك العلم، فإن العلم يأمر العبد أن يشكر الله تعالى في السراء والضراء، فهو يسلك بهذا الشكر طريق العلم، لا إنه شاكرا لله تعالى شكر من رضي بقضائه(٩١).

الدرجة الثالثة: شكر المنعم والاستغراق في شكره ومشاهدته. وهذا بأن لا يشهد العبد إلا المنعم، يعني تشغله مشاهدة المنعم عن النعمة، وذلك لاستغراقه في المنعم(٩٢).

ويقع الشكر في هذه الدرجة في ثلاثة أقسام (٩٣):

القسم الأول: بأن يستغرق العبد في المنعم الحق استغراق عبودية، أي يكون مشاهدا للحق تعالى مشاهدة العبد للسيد بأدب العبيد إذا حضروا بين يدي سيدهم، فإنهم ينسون ما هم فيه من الجاه والقرب الذي ما حصل لغيرهم باستغراقهم في الأدب، وملاحظتهم لسيدهم خوفا من أن يشير إليهم في أمر فيجدهم غافلين عن ملاحظته. فهذا هو شهود العبد للمنعم واستغراقه فيه عن الإحساس بما حصل له عنده من الإنعام في حالة حضوره بين يديه، لأن العبودة توجب عليه أن يستصغر نفسه عن الإحسان.

القسم الثاني: وهو أن العبد يشهد الحق تعالى شهود محبة غالية، وهذا أيضا يستغرق في محبوبه الحق، فيستحلي منه الشدة، وذلك مما علمت من أن المحب يستحلي فعل المحبوب.

القسم الثالث: وإذا شهده تفريدا، لم يشهد منه نعمة ولا شدة. فإما أن يكون مستغرقا في الفناء، فلا يحس بشيء منهم.

٤- الحياء:

يعني التلمساني بالحياء: الحياء المتولد عن الإيمان بالله تعالى، فمن إيمان العبد يقينه المطلق بأن الله يراه. وهذا اليقين يورث فيه الحياء، فيستحيي أن يراه على مكروه "الحياء فيه ملاحظة حضور من يستحيي منه، وأول سلوك أهل الخصوص أن يروا أن الحق تعالى حاضر معهم، وعلى هذا الأصل يُبتَنى السلوك... الحياء يتولد من التعظيم المخالط للود، فإن المنوط بالشيء هو المتصل به، فالحياء حالة تحصل من امتزاج التعظيم بالمودة"(٩٤).

ويقع الحياء عند التلمساني في ثلاث درجات(٩٥):

الدرجة الأولى: (العبد إذا علم أن الحق تعالى ينظر إليه، تولد عنه الحياء منه)، فيجذبه علمه بنظر الحق إليه إلى احتمال صعوبة المجاهدة، مثل العبد إذا عمل الشغل بين يدي سيده، فإنه يكون نشيطا، بخلاف ما إذا كان غائبا عن نظر سيده، والحق لا يغيب نظره عن عبيده، ولكن أكثرهم لا يعلمون. وكذلك أيضا يحمله الحياء على استقباح الجناية، وهي المعصية. فإذا علم العبد أن الحق تعالى ناظر إليه استحيى أن يشتكي منه إلى المخلوقين.

الدرجة الثانية: (تحقق القلب أن الحق تعالى مع عبده تحققا لا يمازجه شك)، فأول شيء يتولد عند العبد من علم هذا القرب الحياء، إذ الحياء من الحاضر أبلغ وأتم. ثم يتولد من ذلك الحياء مع ذلك العلم بالقرب المحبة والأنس. وبهذا يجد العبد الراحة في الأنس بالحق، ويجد الوحشة في ملابسة الخلق.

الدرجة الثالثة: (حياء يتولد من شهود الحضرة). الحضرة هي بارقة تلوح من الجناب الفرداني الأقدس، وهي رقة من بوارق التوحيد إذا شهدها العبد، فأول شيء يغشى الهيبة، ثم لا يجد معها تفرقة، ويعنى بالتفرقة، أن يخطر في باله سوى الحق تعالى، فكأن تلك الحضرة جمعية عن التفرقة. أي تثبت حتى تفنى المشاهدة في الشهود فيصل بالمشاهدة إلى الغاية القصوى.

٥- **الصدق**:

الصادق هو الذي تم له حصول الأمر ووجوده، فالصدق اسم لحصول الشيء بعينه. فالصدق يكون مع الله ومع النفس ومع البشر، فهذا هو الخير كله. والصدق يبدأ من النية والعزم والهمة قبل القول والفعل.

والصدق كما يؤكد التلمساني يقع في معنيين: صدق في الخبر، وهو الذي ضده الكذب، وصدق هو تمام قوة الشيء، كما تقول: رمح صدق الكعوب، أي صلب قوي، أو غير ذلك[٩٦].

وصدق القصد: أن يكون في القلب داعية إلى السلوك، وميل شديد يقهر السر على صحة التوجه، وبالجملة "فالقصد هو النية والطلب الذي لا يمازجه رياء بوجه من الوجوه... أي يسرع إلى مخالفة الكسل بإظهار النشاط، بحيث لا يترك فرصة تفوته كما فاتته الفرص السابقة، حتى ينصلح من قلبه ما

أفسدت الغفلة، وذلك بأن يستنير القلب بالعبادة بعد ظلمته بالإعراض"[٩٧]. فيجتهد اجتهادا يتطهر به مما فاته، حتى كأنه ما فرط قط، والذي يحصل له بالنظر إلى حال هذه الطائفة هو استمرار الحضور، فإن القوم ليسوا أهلا لرؤية العمل، بل هم منزهون عن ذلك خصوصا في درجة الصدق. فالصدق يعمر القلب بالأنس، فإن القلب إذا خلا من الأنس بالله تعالى فهو خراب.

وللصدق عند التلمساني درجتان[٩٨]:

الدرجة الأولى: (الصادق في حاله) وهو الذي ينجذب بالذات إلى الحضرة، ويكون مستعدا للسلوك، مطلوبا لهذا الشأن، ولولا ذلك لما صح له الصدق، ومن هذه حاله يستحيل في حاله نقض العهد، فهو لا يحتمل شيئا يدعو إليه. فاستحكم في الصدق في اليقظة والحضور، ولأجل قوة صدقه لا يداريه ولا يداجيه، لأنه يرى ذلك من جملة الأدب.

الدرجة الثانية: الصادق الذي لم يبق لنفسه حظ وهو الذي لا يحب أن يعيش إلا ليقوم بالعبودية للحق وحده، فالصادق دائما ما يشهد في نفسه التقصير أمام عظمة صفات الحق سبحانه "فالصدق المحقق هو يحصل لمن يعرف الصدق، أما من لا يعرف حقيقة الصدق فإنه لا يحصل له الصدق... يتفق رضا الحق بعمل العبد أو حاله أو وقته، يعني أن العبد إذا اتفق له رضا الحق تعالى بعمله أو حاله أو وقته، فهو الذي يسمى صادقا على الحقيقة... فإذا رضي الحق عنه كما مضى في العمل والحال والوقت والإيقان والقصد، والعبد بذلك يكون صادقا راضيا مرضيا... أي راضيا عن الحق"[٩٩]. وهنا يتفق التلمساني مع المحاسبي (ت٢٤٣هـ) السابق عليه في أن علامة الصدق في أفعال العبد وأقواله: أن لو اطلع عليه جميع العباد لم يتغير عن حاله التي هو عليها، فلا يسر باطلاعهم على خشوعه[١٠٠].

٦- الإيثار:

يعني التلمساني بالإيثار: تقديم مصلحة الغير على النفس، وهذا من محاسن الأخلاق، وأفضل الإيثار هو إيثار رضا الله ورسوله على النفس في كل شيء، وهذا يكون بإيثار مراد الله على كل اختيار "فالإيثار تخصيص واختيار... فكل مؤثر يتوهم أنه مختار في الإيثار وفي ترك الإيثار... إيثار غيره على نفسه، خصوصا إن كان به خصاصة"(١٠١).

وكل مؤثر يتوهم أنه مختار في الإيثار وفي ترك الإيثار، وهذا غير حقيقي، والأصح أن الأمر كله بيد الله، وليس لأحد أن يدعي لنفسه ملكاً لشيء. كما أن الإيثار: "أن العبد يؤثر الله تعالى ورسوله على نفسه، وهذا الإيثار بحسب مقام العبد، إما إيثار محبة، مثل أن يحب الله تعالى ويحب رسوله عليه السلام أعظم مما يحب نفسه وماله والوجود كله، وإما إيثار كشف، وهو أن يشهد أن الحق تعالى هو أولى منه بنفسه... فالله تعالى أولى بالنبي وبالمؤمنين من أنفسهم... فلأن الحقيقة تستأثر بالأمر كله، فليس لأحد أن يدعي معها ملكا أصلا، آثر به، أو لم يؤثر، فإن الأمر كله لله، وإليه يرجع الأمر كله"(١٠٢). فأهل الشهود هم أهل محبة، وأكثرهم آثر الله تعالى على نفسه طوعا.

وفي ذلك تتفاوت درجات الإيثار- كما يؤكد التلمساني- بين ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: (إيثار الخلق على نفسك) (١٠٣). أي تقدمهم على نفسك في مصالحهم، مثل أن تطعمهم، وتكسوهم، وتغنيهم بمالك. ويستطاع هذا بثلاثة أشياء: بتعظيم الحقوق، ومقت الشح، والرغبة في مكارم الأخلاق. وتفصيل ذلك فيما يأتي:

١- تعظيم الحقوق: يعني أن من عظمت الحقوق عنده قام بواجبها، وعظم أمرها، واستهول إضاعتها، والتفريط في أدائها، فحمله ذلك على الإيثار.

٢- مقت الشح: يعني أن الشح وهو البخل، إذا مقته العبد التزم الإيثار، فإنه يرى أنه إن لم يؤثر وقع في الشح الذي هو يبغضه، فلا يرى للخلاص مما يكره إلا الإيثار.

٣- الرغبة في مكارم الأخلاق: "يعني أن كل من كان محبا في مكارم الأخلاق، فإنه يؤثر على نفسه، لأن الإيثار من أحسن مكارم الأخلاق"(١٠٤). فبهذه الثلاثة يستطيع الإنسان أن يؤثر الخلق على نفسه

الدرجة الثانية: (إيثار رضا الله تعالى على رضا غيره). وهو أن يفعل ويعتقد ما يُرضي الله تعالى، ولو كان سبب غضب سائر المخلوقين، وهذه درجة لم يقم بها حقيقة إلا الأنبياء عليهم السلام، خصها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه بُعث إلى الأحمر والأسود، فقاوم الناس أجمعين، ودعا إلى الله تعالى الجن والإنس، فقام برضا الله تعالى، ولم يلتفت إلى سخط من سخط، ولا رضا من رضي إلا الله عز وجل، حتى أظهر الله تعالى دينه ولو كره الكافرون(١٠٥).

الدرجة الثالثة: (إيثار إيثار الله تعالى). هو أن ترى أنك إذا آثرت غيرك بشيء، فإن الذي آثره هو الحق تعالى لا أنت، فهذا هو إيثار إيثار الله تعالى، كأنك آثرت الله تعالى بنسبة إيثارك إليه(١٠٦). ثم بعد ذلك تترك شهود رؤيتك إيثار الله تعالى، يعني أنك إذا آثرت إيثار الله تعالى بتسليمك مع الإيثار إليه، فيلزمك شرط آخر، وهو أن ترضى عن شهود رؤيتك أنك آثرت الحق تعالى بإيثارك وأنك نسبت الإيثار إليه لا إليك، فلا تعتقد أنك آثرت الله

تعالى إيثارا لله، بل هو الذي آثر نفسه. فالشهود والكشف يظهران الأثرة لله تعالى أن العبد لم يكن له قط شيء أصلاً[١٠٧].

٧- التواضع:

يعني التلمساني بالتواضع: السكينة والخشوع والوقار والتعايش والسلام النفسي، واستدل بالآية الكريمة: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً) (سورة الفرقان، الآية:٦٣). ويصرح التلمساني أن: "التواضع هو أن يتواضع العبد لصولة الحق، وما تقابل صولة العزيز إلا بالذل... والعبد ينبغي له أن يتلقى الحق بالخضوع لسلطانه"[١٠٨]. والتواضع أو "الهون هو السكينة والخشوع والوقار والذل للحق"[١٠٩].

والتواضع يقع– كما يؤكد التلمساني– في ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: (التواضع للدين) ويعني بالتواضع هنا حسن الأدب مع الدين، ويعني بالدين دين الإسلام. والمقصود هنا طاعة الأمر تقليدا وإيمانا. أي لا يعارض حكم الكتاب والسنة[١١٠]. فالعبد يعتقد أن نجاته في العلم الشرعي والعمل بمقتضاه. فالاستقامة في العمل تحصل بعد الثقة بصحة العلم الشرعي إيمانا[١١١].

الدرجة الثانية: (التواضع مع غيرك– إخوانك– من البشر)؛ لأنهم أخوة في العبودية لله، أي أن من رضي الحق به عبدا، ينبغي أن ترضى أنت به أخا، أي تجعله أخا بشرط أن يكون مسلما. فيجب عليك أن ترضى بهم أن يكونوا أخوة لك موافقة للحق، ومعرفة لقدر نفسك، إذ أنت عبد مثلهم[١١٢]. فإذا أساء أحد إليك ثم جاءك معتذرا، فيجب عليك أن تقبل عذره حقا كان أو باطلا. فتقبل معاذيره مطلقا[١١٣].

الدرجة الثالثة: (التواضع لله تعالى) ويعني أن تخدم الحق تعالى وتعبده بما أمرك به على مقتضى ما أمرك به، لا على ما تراه أنت من رأيك، والمقصود من ذلك: أن لا تعبد الله تعالى إلا بمقتضى العلم الظاهر، وتكون في العبادة خاليا من آرائك وعقلك، وكذلك تخرج من عوائدك التي تناقض الخدمة مثل كثرة الأكل، وكثرة النوم، ومصاحبة من يشغلك عن الخدمة. أي يجب عليك أن لا ترى لنفسك حقا على الله تعالى لأجل عملك، فإن صحبتك مع الحق، أي مع خدمة الحق تعالى توجب عليك الأدب، ومن جملة الأدب أن لا تطلب من الله تعالى حقا أوجبه على نفسه لك، وكذلك أيضا لا تطلب حقا من حقوقك من الناس(١١٤). ومن جملة التواضع للحق "نزولك عن رسمك في المشاهدة، وهو أن تترك رسمك لتفنيه الحقيقة... فلا تتحرك ذرة إلا بإذنه"(١١٥).

٨- الفتوة:

يعني التلمساني بالفتوة: أن لا تشهد لك، أي لنفسك، فضلا على أحد، أي تطلب من أحد لنفسك، بل تعتقد أن الحقوق تجب عليك ولا تجب لك(١١٦).

وللفتوة عند التلمساني ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: (ترك الخصومة)، وهذا يكون "بأن لا تخاصم أحدا على حقك، بل تتركه له"(١١٧). فيتركها من قلبه، أي لا يجعل نفسه في مقابلة أحد، فإن كل من أردت أن تطلب حقك منه، فقد جعلت نفسك خصما. فالمقصود أن لا تخاصم، ولا تخطر لك الخصومة أيضا على خاطر. وهذا يعني أن تلتمس العذر لأخيك، وتتغافل عن الزلة، وهذا يعني أن "العبد الذي يروم الفتوة إذا رأى زلة من أحد وتحققها، أظهر أنه ما رآها

ليزول صاحبها عن الوحشة ويريحه من العذر"[١١٨]. وكذلك نسيان الأذية يعني أنه "يجب عليه أن يتناسى أذية من آذاه، حتى يصفو قلبه وتحسن معه عشرته"[١١٩].

الدرجة الثانية: (أن تُقرّبَ من يعصيك)، والمراد بتقريبه "إلزام نفسك بمعاشرة الضد والإحسان إليه حتى يحصل حسن التخلق بالفتوة"[١٢٠]. ومن مكارم الأخلاق أيضا كما يصرح التلمساني أن تكرم من يؤذيك. وهذا "بزيادة احتمال الأذى حتى يصير عادة فيتخلق بذلك تحقيقا للفتوة"[١٢١]. وكذلك أن "تعتذر إلى من يجني عليك، يعني أن تسبق الجاني بالعذر عن نفسه"[١٢٢].

وهذا من قيم التسامح ومكارم الأخلاق، فحري بالإنسان أن يكون "سماحا لا كظما، وتوادا لا مصابرة، يعني أن معاملتك للجاني باللطف اجعلها سماحا وطيبة نفس، لا كظما للغيظ، فإن الكظم دليل على أن ما في باطنك خلاف ما أنت عليه في ظاهرك، والمقصود إنما هو الباطن، فإذا انصلح، انصلح الظاهر تبعا له"[١٢٣].

الدرجة الثالثة: (ألا تتعلق في المسير بدليل من الأدلة العقلية)، بل تتعلق بنور الله في القلب، فالاستدلال بأدلة المعقول والمنقول مفرقة في الغالب، وإنما يجمع القلب نور التعرف الإلهي "فلا يكون منك نظر إلى السوى عند الشهود"[١٢٤]. ولا تشوب إجابتك بعوض، يعني إنك قد أجبت داعي الله تعالى، وسلكت طريقه، فلا تمزج هذه الإجابة بعوض من الله تعالى فضلا عن المخلوق، وذلك لأنك متى طلبت العوض من الله تعالى، فأنت طالب عرض، ولست عبدا على الحقيقة[١٢٥].

٩- الانبساط:

يعني التلمساني بالانبساط : "هو المشي مع ما جبل الله تعالى عليه العبد من الأخلاق من غير تكلف"(١٢٦). فالانبساط، إرسال السجية، وقد يعني انشراح الصدر ومعناه "اطراح التكلف والتصنع في الكلام وفي الفعل وفي السجية، وهي واحد السجايا، وهي الطباع"(١٢٧).

ويقول عنه القشيري: القبض للعارف: بمنزلة الخوف للمستأنف. والبسط: بمنزلة الرجاء للمستأنف، والمبسوط قد يكون فيه بسط يسع الخلق، فلا يستوحش من أكثر الأشياء، ويكون مبسوطا لا يؤثر فيه شيء بحال من الأحوال(١٢٨).

ويصرح التلمساني بأن الانبساط يتحقق عبر ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: (الحضور مع صحبتك)، فإذا كان لك حظ في الخلوة، وراحة في العزلة، ينبغي أن تتركها تكرما على جلسائك، بحضورك معهم، وتؤثر صحبتهم على حظوظك إن أردت أن تتخلق بالانبساط(١٢٩). والانبساط يتطلب أن: "تسعهم بخُلُقك، أي توسع أخلاقك في احتمال ما يبدو منهم من سوء العشرة"(١٣٠).

الدرجة الثانية: (ألا يمنعك من الانبساط مانع)، وذلك أنك لا ينبغي في مقام الانبساط أن يحصل شيء من الاجتناب، ومعناه بالنسبة إلى الناس أن الخوف قد يكون سبب التجنب في العادة، فإذا حضر الانبساط زال الخوف والتجنب، وحقيقته بالنسبة إلى أهل هذه الطريقة هو أن "الانبساط لا يكون إلا للعارفين وأهل التجليات"(١٣١).

الدرجة الثالثة: (الانبساط في الانطواء عن الانبساط)، والانطواء هو أن لا يرى العبد لنفسه بسطا ولا قبضا، ملاحظة لكون الحق تعالى هو الباسط من غير واسطة، فتضيع صفة العبد في صفة الحق جل جلاله من باب توحيد الأفعال(١٣٢).

١٠- مراعاة الحرمات:

يعني التلمساني بمراعاة الحرمات: مراعاة الواجبات والحقوق والابتعاد عن المحرمات والمحظورات والمنهيات "فالحرمات هي الحقوق الواجبة المراعاة... ومنع النفس عن التجاسر على محارم الله تعالى"(١٣٣).

ومراعاة الحرمات عند التلمساني تتطلب: "تعظيم الأمر هو امتثاله، وتعظيم النهي هو اجتناب ما نهى عنه"(١٣٤).

وهذا الخُلُق يقع بشروط:

أولها: ألا يكون تعظيم الأمر والنهي خوفا من العقوبة، فإن الخائف من العقوبة لا يزال يخاصم نفسه ويعاتبها، ولا يخلصها من ذلك إلا أن يكون تعظيمه للأمر والنهي لأجل أن الله تعالى عظيم يجب على عباده أن يعظموا أوامره فتكون خصومة النفس (١٣٥).

ثانيا: ألا يكون طلبا للمثوبة، فيكون مسترقا للأجرة، يعني أن من كان تعظيمه للأمر والنهي إنما هو لطلب المثوبة، فهو أجير يطلب الأجرة، والأجير مثل المسترق أي العبد، ومن يكون عبدا للأجرة فما هو عبد لله تعالى، بل هو خارج عن طريق الله تعالى، أعني الطريق الخاص، والمخلص من هذا أن يجعل تعظيمه للأمر والنهي إنما هو لأجل أن الذي أمر ونهى مالك العبيد، يجب عليهم أن يعبدوه بلا أجرة، فإن العبيد لا يطلبون الأجرة،

والأجير إذا طلب–أخذ– أجرته انصرف، والعبد مقيم في باب سيده دائما، وهذا هو مطلوب القوم [١٣٦].

ثالثاً: ألا يكون مشاهدا لأحد، أي ولا يعظم الأمر والنهي، وهو يريد أن يشكره أحد أو يعتقد فيه، فإن هذا هو فعل الذين يتدينون بالرياء.

١١- الإخلاص:

يعني التلمساني بالإخلاص: "تصفية العمل من كل شوب، أي يخلص في العمل لله تعالى حتى يصفو من شوب الرياء وغيره، والشوب هو المزج، أي لا يمازج عمله لله تعالى شيء من الرياء، ولا من طلب التزين عند الناس ليحصل الجاه والحرمة"[١٣٧].

ويتطلب الإخلاص عند التلمساني الخلاص من طلب العوض على العمل، فيقوم بالعمل خالصاً، أي بلا نظر إلى جزاء أو مثوبة، وهو يعني أيضا: "إخراج رؤية العمل من العمل، هو أن لا يفتخر بعمله، ولا يعتقد أنه يستحق به ثوابا، لكونه يرى أن العمل هو من مواهب الحق تعالى، فكيف يستحق عليه الأجرة، ولكونه يرى نفسه عبدا لله تعالى، والعبد لا يستحق الأجرة، وإنما يستحق الأجرة الأجير"[١٣٨].

يتضح مما سبق أن الإخلاص هو إخراج رؤية العمل من العمل، أي أخرج من العمل الاعتداد بالعمل، فهو لا يرى أن له عملا صالحا يُرضَى، أو حالة حسنة يجازى عليها بالإحسان، بل يرى أن جميع ما يحصل له من الإحسان إنما هو من عين الموهبة والامتنان. وهو أيضا الخلاص من طلب العوض على العمل، فلا ينتظر من الحق تعالى جزاء على العمل الصالح،

لا في الدنيا ولا في الآخرة. "فيعلم أن المراد منه ليس إلا معرفة الله تعالى، والفناء في التوحيد"[١٣٩].

فالإخلاص أن يكون العبد "حرا من رق الرسم، الحرية عدم الدخول تحت عبودية الخلق، وأما العبودية للحق تعالى فهي الحرية هنا، والرق هو الملك، والرسم هو الأثر... وكل ما سوى الله تعالى... حتى لا تلتفت إلى موعود من الثواب، ولا إلى وعيد من العقاب اشتغالا بعبوديتك للحق تعالى التي ليست واقفة عند رجاء ولا خوف، بل إما محبة له، وإما لعلمك استحقاقه الملك له، ووجوب العبودية له عليك، لأنه يستحقها لا لأجل خوف، ولا لأجل رجاء"[١٤٠]. ومن وصل إلى هذه الدرجة فهو حر من الرسوم والمخلوقات. وبالإخلاص يصل العبد إلى حقيقة العبودية "فالعبودية هي الحقيقة"[١٤١].

١٢- التوكل:

من أسمى أخلاق وآداب العبد مع ربه أن يحسن التوكل عليه، فالتوكل: "أي تسليمه إلى مالكه... تسليم الأمر كله إلى مالكه الحق"[١٤٢]، **وهو على درجتين:**

الدرجة الأولى: صاحب هذه الدرجة يتوكل على الله تعالى، ولا يترك الأسباب، بل يتعاطاها، ولكن على نية شغل النفس بالسبب، مخافة أن يتفرغ، فيترك الدعوى، فأما إذا امتهن نفسه بمعاطاة الأسباب سلم من هذه الأمراض[١٤٣].

الدرجة الثانية: "فلا يطلب من أحد شيئا اعتمادا على الله تعالى الذي هو وكيله، وهو نعم الوكيل... فيترك السبب ويعرض عنه لتصحيح التوكل بامتحان النفس، فإن المتعاطي للسبب قد يظن أنه قد حصل التوكل، ولم

يحصله، لأنه لو فارق السبب ربما لم يثبت على التوكل"[١٤٤]. فإذا فارق السبب وثبت نفسه ووطنها وداوم على ذلك، فإنه يحصل له تصحيح التوكل.

فإن ضرورة العبودية أن يعلم العبد أن الحق هو مالك الأشياء وحده، أي حقيقة العبودية التي هي عبودية صحيحة بالضرورة، هي: "أن يشهد العبد أن الحق لا غيره هو مالك الأشياء، وإن لم يشهد ذلك، فهو من أهل الحجاب"[١٤٥].

١٣- التفويض:

من أسمى أخلاق وآداب العبد مع ربه أن يحسن التفويض لله، ويعني التلمساني بالتفويض: "رد الأمر إلى صاحبه الحق تعالى... فالمفوض يتبرأ من الحول والقوة، ويفوض الأمر إلى صاحبه... وهو خروج من الحول والقوة، وتسليم القوة لله تعالى جميعا"[١٤٦]. وهنا يصف التلمساني التفويض بأنه أوسع في المعنى من التوكل؛ لأن التفويض له القبلية والبعدية: أي قبل السبب وبعده، أما التوكل فلا يكون إلا بعد السبب، فليس له إلا البعدية لا غير.

وهكذا يكون التفويض عين الاستسلام، يعني به أن التفويض هو "عين الانقياد بالكلية إلى الحق تعالى، ولا يبالي أكان ممن يقدر له الخير، أم خلافه، فإنه لا يعترض على الحق تعالى"[١٤٧]. فيعلم العبد أنه لا يملك قبل عمله استطاعة، ولا يأمن من مكر، ولا ييأس من معونة، ولا يعول على نية.

وصاحب مقام التفويض– كما يؤكد التلمساني– يتحقق بأن القوة لله جميعا، فيعترف قبل العمل أنه لا يستطيع العمل إلا إن حرّكه الله تعالى، فكيف يأمن من المكر، وذلك أن من لا يتحرك إلا بالغير، فقد يحركه الغير،

أي لا يحركه الحق تعالى للعمل الصالح، وهو معنى المكر "فإذا كان المحرك هو الحق جل جلاله، وهو جواد قادر، فمن أين يأتي الإياس من رحمة الرحمان الجواد تعالى... لا يعول على نيته في العمل،... فإن القدرة ليست له، وإنما هي للقادر الحق تعالى، إن أراد حرّكه، وإن أراد مكر به، فينبغي أن يكون تعويله على الله تعالى"(١٤٨).

أي لا يرى فاعلا إلا الله تعالى، فالنجاة برحمته لا بالعمل، والهلاك بنقمته لا بالذنب، والحامل على العمل هو الحق تعالى لا السبب، أي يكون مع المسبب لا مع السبب. ويزيد التلمساني الأمر وضوحا فيؤكد أن العبد الذي تحقق بالتفويض حقيقة: "يشهد الحركة والسكون صادرة عن الحق تعالى في ظهورات الموجودات بلا واسطة، ويشهد الحركة من اسمه الباسط، ويشهد السكون من اسمه القابض، ويكون القبض والبسط منه تعالى وحده"(١٤٩).

١٤- الثقة:

من أسمى أخلاق وآداب العبد مع ربه أن يحسن الثقة به، ويعني التلمساني بالثقة: "أشرف ما في التوكل، وأنفع ما فيه... وخلاصة التفويض أيضا ولب حقيقته، فكما أن النقطة التي في وسط الدائرة هي المركز الذي عليها استدار المحيط... فالثقة هي النقطة والمركز الذي يدور عليه التفويض"(١٥٠).

وتقع الثقة عند التلمساني في درجتين:

الدرجة الأولى: "أي يعتقد أنه إذا حكم الله تعالى بأمر فلا مرد له، فمن حكم الله تعالى له بنصيب وقسم من الطاعة فسوف يحصل له، ومن لم يقسم له قسم منها فلا سبيل له إليها"(١٥١).

الدرجة الثانية: "أن من حقق أن ما قسمه الله تعالى فلا راد له، أمن من فوت نصيبه الذي قسمه الله تعالى له... فيظفر بروح الرضا... لأن من رضي استراح من الكد والتعب ومقاومة الأقدار في الطلب"(١٥٢). فيصل إلى قوة الإيمان بالقضاء والقدر، وبأحكام الله تعالى في سائر البشر، فيخلص بمعاينة الأزل من التعريج على مدارج الوسائل. فمن خلص من محن المقصود وتكاليف الحمايات، لم يعرج على الوسائل لاستغنائه عنها. فالراحة إنما تحصل بمعاينة الأزل(١٥٣).

١٥- التسليم:

من أسمى أخلاق وآداب العبد مع ربه أن يحسن التسليم له في كل أموره، ويعني التلمساني بالتسليم: أن "الله تعالى أقسم بجلال ربوبيته الخاصة بمقام محمد- صلى الله عليه وسلم- أن المسلمين لا تكمل لهم درجة الإيمان حتى يحكموك يا محمد فيما شجر بينهم، أي: فيما اختلفوا فيه، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت، أي فيما حكمت بينهم، ويسلموا لك الحكم فيهم تسليما، أي: لا يخالفونك فيما تحكم به عليهم، ولا يجدون في أنفسهم حرجا، أي: ضيقا، بل يقبلون حكمك فيهم بما لا يوافق أغراضهم، وذلك هو عين التسليم"(١٥٤).

فمن حقق مقام التسليم حتى صح له وكمل عنده "فهو تسليم إلى الله تعالى مما هو غيب عنه مما يزاحم العقول والأوهام، فلا يلتفت إلى السبب في كل ما غاب عنه من أمور الدنيا والآخرة"(١٥٥). فالتسليم لما يبدو لك من معاني الغيب مما يزاحم العقول، أي يخالفها في مبادئ الحال، ويشق على الأوهام أيضا أن يتوهم المكاشف أنها تضره. فيسلم إلى الله تعالى ما زاحم عقله، وما شق على وهمه، فيكون في الأشياء التي لا يعرفها بالله تعالى لا بنفسه، ليكون الحق تعالى هو الذي يتولى حمايته وحراسته.

وأعلى مقامات التسليم عند التلمساني: هو "تسليم ذاته ليفنى في شهود الحقيقة، فإن ذات العبد هي رسم تفنيه الحقيقة كما يفنى النور الظلمة"(١٥٦). أي تسليم كل ما دون الحق إلى الحق، فإن كل ما دون الحق هو رسوم، ومن سلم رسمه الخاص به إلى الكشف، فقد شرع في تسليم كل ما دون الحق إلى الحق، ومعنى هذا أن التسليم هو اضمحلال رسوم الخلق في نور فردانية الحق تعالى، وهنا يأخذ التسليم معنى الفناء.

١٦- المراقبة:

من أسمى أخلاق وآداب العبد مع ربه أن يتحقق بمراقبة الله في جميع أقواله وأفعاله، ويعني التلمساني بالمراقبة: "مراقبة الحق، أي حضور القلب معه"(١٥٧). وذلك يكون بتسليم العظمة إليه وحده، وأن كل من دونه ذليل حقير مفتقر إليه سبحانه، وهذا كله يتطلب دوام حضور القلب مع الله تعالى. وتتحقق المراقبة لله على الدوام بدوام الذكر لله. فلا يغفل قلب الذاكر عن مراقبة الحق في كل أمر. وهذا هو حال المتحقق بالمراقبة ودوام شهود القلب لله في كل أحواله وحركاته وسكناته.

يؤكد التلمساني أن بقاء العبد مع مداركه أو حواسه أو مشاعره أو أفكاره أو خواطره عند مراقبة الحق، يعد من سوء الأدب؛ لهذا يجب أن تتخلص في حضورك مراقبة نظر الحق إليك من هذه الصفات، وذلك بأن تستغرق بالذكر، فتذهل عن نفسك وعن مأمنك لتكون عند نظره إليك متهيئا للفناء عن وجودك، وعن وجود كل شيء سواه "فالذكر يوجب الغيبة عن الحس... فحضرة الحق تعالى لا يكون فيها غيره"(١٥٨).

***

سابعاً: الفعل الخُلُقي:

الآراء السابقة في الأخلاق عند التلمساني تؤدي إلى السؤال الآتي: هل آراء التلمساني في الأخلاق تتناسب مع حرية الإنسان وسعيه في التحقق بالأخلاق الحسنة؟

يجيب التلمساني مؤكداً أن الحق لم يكلف الإنسان إلا بما في وسعه القيام به، وهذا يعضد حرية الإرادة من كل قيد. وقمة الحرية في التحقق بالعبودية، والعبودية الخالصة تقتضي التحقق بالأخلاق الحسنة، وهذا ضروري لاعتدال متطلبات الإنسان ونجاته في الدنيا والآخرة، فالحق "أمرها ونهاها ولم يكلفها إلا بحسب ما أتاها، ولما كان الإنسان له إرادة ولا يمكنه نفيها، إذ ذلك لا يصح بل لا يجب أن يريد إلا ما أراده مولاه"(١٥٩).

وإرادة الله لا تأتي إلا بالخير للإنسان، وحرية الإنسان في كمال عبوديته لله. وهذا يعضد سعيه بكامل حريته لتحقيق الأخلاق الحسنة قدر طاقته ووسعه. وضرب التلمساني هنا مثلاً لارتباط الأخلاق بسعي الإنسان. مصرحاً: أن الدعاء من أهم أخلاق العبد مع ربه، والدعاء يرفع القضاء

برحمة الله وفضله. فلو لم يوجد كسب في القيام بالدعاء، لم يوجد حكم ولا استجابة. وهنا يربط التلمساني بين الجزاء وبين عمل الإنسان وحريته في القيام بالفعل. وهذا إقرار من التلمساني بقيمة العمل والسعي والاجتهاد في حياة الإنسان ومآله.

ومما يدل على ذلك تصريح التلمساني بأن: "العلم الأزلي محيطا بما سيختاره الإنسان من العلم حكم العلم له أو عليه بجزاء عمله له أو عليه، فعاد حكم الحاكم أزلا تابعا لاختيار المختار عملا لكنه قضى، أي: حكم به أزلا، ولو لم يكن تابعا له لما كان جزاء. فالقضاء حكم مساو للكسب المعلوم أزلا، وله مقدار معين على كل جزء ولهذا سمي مجازاة. وذلك المقدار هو القدر، فالقدر جزء معين بمقدار، ومن القضاء والقدر أن الدعاء يدفع القضاء والقدر... فلو لم يوجد كسب لم يوجد حكم ولا مقدار جزاء حكم به حاكم، فالقضاء والقدر في الأزل قضيتان تابعتان لما سيصدر على الإنسان بعد وجوده من العمل، ولم يزل العلم محيطا بأنه سيكون خليفة، ولا معنى للخليفة إلا أنه يبدأ بأفعاله... فقد عاد الإنسان بهذا البيان هو القاضي والمُقَدِّر بكسبه جزاء طاعته أو ذنبه"(١٦٠).

نستنتج من ذلك تصريح التلمساني بوجود الإرادة الحرة في الاختيار سواء للطاعة أو للذنب. كما يتضح من النص دور الحرية في السعي، ودور الكسب في القيام بالدعاء لرد القضاء، كما تتضح قيمة الكسب في وجود العمل. ويظهر من كلام التلمساني أيضا أن التحقق بالخلافة في الأرض مرهون بالحرية مما سوى الله، والخضوع الكامل لله، وهذه الحرية من متطلبات كسب الفعل بالطاعة لنيل الخلافة.

كما نستنتج أيضاً أن التحقق بمحاسن الأخلاق يستتبع التحقق بالكمال الروحي، وهذا بدوره يتناسب طرديا مع سعي الإنسان وكسبه "فالكامل هو من قام فيما أتاه الله بوسعه"(١٦١).

وفي هذه النقطة تتشابه آراء التلمساني مع آراء ابن عطاء الله السكندري (ت٧٠٩هـ)؛ فقد ذكر الأخير: أن سر خلق التدبير والاختيار، هو ظهور قهر القهار، وذلك أنه سبحانه، أراد أن يتعرف إلى العباد بقهره، فخلق فيهم تدبيرا واختيارا، ثم فسح لهم بالحجة حتى أمكنهم ذلك، إذ كانوا في جود المواجهة والمعاينة، لم يمكنهم التدبير والاختيار. فما خلق الإرادة فيك لتكون لك الإرادة، ولكن لتدحض إرادته إرادتك، فتعلم أنه ليس لك إرادة(١٦٢). وهنا يتبين لنا أن الإرادة عند الصوفية هي أساس الوجود والمعرفة. بها يثبت الصوفي وجوده، ويبلغ مطلوبه، ويتصل بربه. وهي نقطة البدء ونقطة النهاية، وهي من المتصوفة بمثابة العقل من الفلاسفة، وما التصوف إلا ثمرة وجدان حي وإرادة قوية(١٦٣).

ومما يدل على تأكيد التلمساني على وجود الإرادة الحرة في الإنسان، هو اختياره بين الحق والباطل، أو بين الخير والشر، فإما أن يكون عبدا للرحمن أو للشيطان. فأيهما يختار تكون حياته وينال جزاءه في مآله "فسماه خليفة؛ إذ في قوته أن يكون خليفة شيطان أو خليفة رحمان، فمتى أمر نفسه بما أمر به ربه كان خليفةً على نفسه لربه، وكذلك يكون خليفة من قام بأمره"(١٦٤).

ومما يدل على وجود الإرادة الحرة في كسب الفعل عند التلمساني تصريحه بأن: "الإنسان بصورته المعنوية جامع سائر الصور بصفاته، متمكن من الانتقال والثبوت عن ما شاء منها مما له أو عليه"(١٦٥). وفي

إقرار التلمساني بأن العبودية الخالصة لله هي عين الحرية أنشد قائلا في ديوانه: "ذللت لمحبوب هو العز كله*** على أنني في ذلتي أتلذذ"(١٦٦).

ومن الأخلاق التي نبه التلمساني عليها وترتبط في نفس الوقت بحرية الإرادة مع الإيمان بالقدر، تصريح التلمساني بأن الخلق يسيرون وفق إرادة خالقهم. ولهذا هم مربوطون بمقاديرهم. فلا يخرج أحد عن مقداره(١٦٧). وهذه المعرفة تجعله يعاشر الناس بالمعروف، فيتعايش معهم بالأخلاق الحسنة، ولا يكلفهم ما لا يطيقون. فيفرض عليه "حسن الخُلُق ألا يطلب من أحد إلا ما يقدر عليه، ويعذره في عجزه عما هو محبوس عنه، فلا يطالبه به"(١٦٨). فمن ثمرات محاسن الأخلاق شهوده لأحكام القدر في نفسه وفي غيره(١٦٩). وهنا تؤتي الحرية الأخلاقية عند التلمساني ثمارها، والتي تنعكس من العبد الصالح على غيره من البشر بالتعايش والتراحم. وهذا في حد ذاته يدعم نظرة التلمساني التفاؤلية في الأخلاق، وهذا عندما يصرح بضرورة حسن الخُلُق والتماس العذر بين البشر، وهذا بدوره ينعكس بالسكينة والطمأنينة بين الفرد والمجتمع.

***

نتائج الدراسة:

توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج، منها:

١- غاية التلمساني الأساسية غاية دينية روحية تهدف لإبراز الأخلاق وصفاتها وأثرها على الفرد والمجتمع، ومما يدل على ذلك استخدامه لمصطلحات حسن الخُلُق، ومكارم الأخلاق بصورة كبيرة وواضحة في جميع مؤلفاته.

٢- تأكيد التلمساني بوجود الإرادة الحرة في الاختيار سواء للطاعة أو للذنب. والحرية في السعي، ودور الكسب في القيام بالدعاء لرد القضاء، وقيمة الكسب في وجود العمل. كما أن التحقق بالخلافة في الأرض مرهون بالحرية مما سوى الله، والخضوع الكامل لله، وهذه الحرية من متطلبات كسب الفعل بالطاعة لنيل الخلافة.

٣- التحقق بمحاسن الأخلاق- عند التلمساني- يستتبع التحقق بالكمال الروحي، وهذا بدوره يتناسب طرديا مع سعي الإنسان وكسبه.

٤- نبه التلمساني على حرية الإرادة مع إيمانه بالقضاء والقدر.

٥- نجاة الإنسان- عند التلمساني- في الدنيا والآخرة في ارتباطه بخالقه، وهذا وحده كفيل بخلاصه وحريته من الأخلاق المذمومة، وبهذا كان التلمساني من السابقين في تحليل الأخلاق الإنسانية.

٦- آراء التلمساني في الأخلاق تعد من الأهمية بمكان من بين قضايا الفلسفة الإسلامية الأخرى؛ فقد عالج التجربة الصوفية برؤية قرآنية، كما قام بتحليل الأخلاق في إطار يتفق مع القرآن الكريم والسنة النبوية، فكان يستدل بهما ليؤكد مقاصده الروحية في الأخلاق وما يرتبط بها من قضايا.

٧- خلاص الإنسان- عند التلمساني- يكمن في تحققه بالأخلاق الحسنة، وهذا بدوره لا يتحقق إلا عندما تنعكس ثمرته من الإنسان على غيره من البشر.

٨- الأخلاق التي يقرها التلمساني هي الأخلاق الحسنة التي يقرها الإسلام، والتي تراعي مطالب البدن والروح معاً، وتتسم بالاعتدال بين متطلبات الإنسان وتراعي حاجاته الروحية والمادية، دون زيادة أو نقصان.

٩- أثبت التلمساني أن الفعل الأخلاقي يلزمه الحرية في الاختيار لكي يتحقق. فحرية الفعل والإرادة تؤهل للجزاء الأخروي بالثواب والعقاب، وبهذا تؤتي آراؤه في الأخلاق ثمارها الإيمانية.

١٠- نظرة التلمساني التفاؤلية في الأخلاق تظهر في التحقق بحسن الخُلُق والتماس العذر بين البشر، وهذا بدوره ينعكس بالسكينة والطمأنينة بين الفرد والمجتمع. فالتراحم وكف الأذى من أهم الأخلاقيات التي نبه التلمساني إليها ليسمو الإنسان إلى رتبة إنسانيته التي خُلِقَ لها.

١١- يؤخذ على التلمساني أنه لم يتطرق إلى ربط الأخلاق بالفناء إلا في مواضع قليلة.

١٢- تسهم هذه الدراسة في رؤية الإنسان المعاصر لحياته ومآله، فتحرره من كل خُلُق يعوقه عن ارتباطه بخالقه، وتخلصه من كل خُلُق يعوقه عن التعايش والتراحم مع غيره من البشر.

وختاما: توصي الدراسة بمزيد من البحث والتنقيب عن الأفكار الجادة والجديدة التي يتمتع بها التلمساني، ومنها السعادة، والوجود.

***

الحواشي:

(١) عفيف الدين التلمساني (٦١٠هـ- ٦٩٠هـ): هو أبو الربيع، عفيف الدين، سليمان، بن على، بن عبد الله، بن علي، بن يس، العابدي، الكومي، التلمساني، وهو معروف عند القدماء بـ(العفيف التلمساني). أما نسبته الأولى فهي العابدي، نسبة إلى (بني عابد) وهم قبيلة بربرية متفرعة عن الأصل (كومية)، وهي قبيلة تقطن في نواحي (ندرومة) من أعمال تلمسان في الجزائر. وأما نسبته الثانية (الكومي)، فقد طرأ عليها بعض التصحيف عند بعض القدماء، فذكروا أنه كان كوفي الأصل. والحقيقة أن (الكومي) هي نسبة إلى كومة وهي قبيلة بربرية كبيرة، منازلها من هضاب الجزائر العليا بين الساحل الغربي. أما نسبتهم الثالثة (التلمساني)، فهي نسبة إلى مدينة تلمسان وأصلها موضع مكان حضاري قديم في المغرب الأوسط، يُعرف قديما باسم بوماريا. وينتسب إلى تلمسان وهما مدينتان متجاورتان بالمغرب، إحداهما قديمة، والأخرى حديثة يسكن فيها الجند وأصحاب السلطان وأصناف من الناس، وتقع تلمسان اليوم على الحدود الغربية للجزائر. ولد عفيف الدين سنة (٦١٠هـ-١٢١٣م)، وقد نال أكبر قسط من ثقافته الأولى في حاضرة تلمسان وما جاورها. وعفيف الدين التلمساني هو واحد من كبار الشعراء المتصوفة القادمين من المغرب العربي إلى المشرق، ومن أكثرهم إثارة للجدل، تنقل بين مصر والشام وتعرف إلى كبار المتصوفين؛ يقول عنه شهاب الدين بن الفضل: "لم يأت إلا بما خف على القلوب، وبرئ من العيوب، رق شعره فكاد أن يُشرب"، وابن العماد يقول: "وأما شعره ففي الذروة العليا من البلاغة".

والتلمساني تلميذ صدر الدين القونوي (ت٦٧٢هـ)- ربيب ابن عربي وتلميذه- وكان لقاء التلمساني بالقونوي تحولا خطيرا في مساره الروحي، فقد تعرف من خلال شيخه على عالم ابن عربي الذي تعمق بالتجربة الصوفية حتى اخرق الفقه والفلسفة وعلم الكلام، وغيرها من علوم الحقبة. وفي مصر التقى التلمساني بصوفي لا يقل مكانة عن ابن عربي هو الصوفي الأندلسي: عبد الحق بن سبعين (ت٦٦٩هـ). ففي مصر، طاب المقام للتلمساني حينا من الدهر، فظل مقيما عند صاحبه شمس الدين الأيكي- شيخ الشيوخ- حتى رزق بولده شمس الدين محمد، المعروف بالشاب الظريف، المولود بالقاهرة ٦٦١هـ- وما لبث

أن رحل التلمساني بأسرته إلى دمشق، ليتولى منصب الإشراف على تحصيل رسوم الخزانة. وفي دمشق، نال التلمساني شهرة واسعة كواحد من أهل الطريق الصوفي، واعتقد الناس في علمه وفضله وزهده. يقول ابن شاكر: وكان حسن العشرة كريم الأخلاق، له حرمة ووجاهة.

وفي أوائل العقد الثالث من عمره قدم إلى القاهرة، وفيها رزق بابنه شمس الدين محمد ، المعروف بالشاب لظريف سنة ٦٦١هـ. ولما قدم شيخه القونوي رسولا إلى مصر، اجتمع به ابن سبعين لما قدم من المغرب، وكان التلمساني مع شيخه القونوي، قالوا لابن سبعين، كيف وجدته (أي: القونوي) بعين علم التوحيد؟ فقال : إنه من المحققين، لكن معه شاب أحذق منه، هو العفيف التلمساني. وكان التلمساني أقرب إلى ابن سبعين منه إلى ابن عربي في مذهب الوحدة. وحياة عفيف الدين في مسقط رأسه بتلمسان، وفي رحاب خانقاه (سعيد السعداء) بالقاهرة، وفي خلواته المعروفة ببلاد الروم بشكل خاص لا تخرج إطلاقا عن نطاق التصوف والتجرد. أما المرحلة الختامية من حياته، فتختلف كل الاختلاف عن المراحل الثلاث السابقات، فنراه لأول مرة ينعم بلذات العيش وجمال الحياة في منزله الذي أقامه في ظاهر دمشق في سفوح قاسيون، ومازال مكان قصره معروفا عند أهل دمشق بـ(العفيف) وهو حي من أحيائها العامرة والآهلة الآن بالسكان. وفي هذه الفترة من حياته ترك مشيخته في التصوف بعد أن استقر في دمشق نهائيا، وأصبح ذا جاه كبير، فكان المدبر والمؤتمن على أموال السلطنة كلها في بلاد الشام وتوفي ابنه في دمشق سنة ٦٨٨هـ، وقد رثاه في أبيات العديد من أبيات الشعر. وقد أجمع القدماء على حسن خلق التلمساني، وطيب عشرته، ومحبة الناس له، ومحبته للناس، وتوفي العفيف التلمساني بعد اثنين من وفاة ابنه، وذلك في خامس رجب سنة ٦٩٠هـ عن ثمانين عاما. وقال عندما سئل عن حاله في اليوم الذي توفي فيه "بخير، من عرف الله كيف يخافه؟ والله مذ عرفته ما خفته... وأنا فرحان بلقائه". ويمكن حصر مصنفات التلمساني في التالي: ديوان شعر، شرح أسماء الله الحسنى، شرح تائية ابن الفارض، شرح عينية ابن سينا، رسالة في علم العروض، شرح فصوص الحكم لابن عربي، شرح منازل السائرين للهروي. الجدير بالذكر أن شرح ابن التلمساني للفصوص فيه دلالة بالغة على تلقيه

كتاب الفصوص من على لسان صاحبه ابن عربي وبلا واسطة. أي أنه تلميذ مباشر لابن عربي. كما أن شرح التلمساني لتائية ابن الفارض إضافة مهمة للمكتبة الفارضية، فهو يمثل نظرة جديدة لشعر ابن الفارض وخبرته الصوفية. فشروحه تعد إضافة مهمة جدا لنقل نصها عبر التاريخ. فالنظرة والقراءة الصوفية الدقيقة لنص التائية الكبرى من الأهمية بمكان لفهم التائية وأبعادها ومراميها الروحية. ولمزيد من الإيضاح انظر: عفيف الدين التلمساني: شرح مواقف النفري، دراسة وتحقيق الدكتور جمال المرزوقي، تصدير الدكتور عاطف العراقي، مركز المحروسة، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٢٢ : ٣٢. وانظر أيضا: انظر: عفيف الدين التلمساني: ديوان عفيف الدين التلمساني، الجزء الأول، دراسة وتحقيق يوسف زيدان، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨م، المقدمة، ص ١١ : ١٤.

(٢) الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١٠٦.

(٣) عبد الرءوف المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق الدكتور عبد الحميد صالح حمدان، مكتبة عالم الكتب، ١٩٩٠م، ص ١٥٩.

(٤) الدكتور معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، الجزء الأول، معهد الإنماء العربي، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٦م، ص ٤١. والأخلاق: منظومة قواعد السلوك التي ينبغي على المرء اتباعها ليحيا وفق طبيعته الحقيقية، أو المرموقة. والأخلاق الفلسفية ليست جملة أوامر أو نصائح وحسب، بل إنها منظومة منهجية، أي بناء منطقي يشتمل أولا على تصور نظري عن الإنسان والعالم، وثانيا على مبدأ أساسي يحكم بموجبه على مختلف طرز سلوكه في شتى ظروف الحياة، وكل فيلسوف أخلاقي يمتنع عن تكوين فكرة نظرية عن الإنسان والعالم إنما يعتنق في الواقع الفكرة السائدة في الحضارة التي ينتمي إليها. فهدف الأخلاق لا يقتصر على المعرفة والإفهام بل يتناول توجيه العمل وتحقيق نتيجة. ولمزيد من الإيضاح انظر: معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، الجزء الأول، ص ٣٨. ولمزيد من الإيضاح حول المشكلة الأخلاقية انظر: أندريه كريسون: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ترجمة الإمام عبد الحليم محمود، والأستاذ أبو بكر ذكري، مطابع دار الشعب، القاهرة ،١٩٧٩م، ص ٢٥٨.

(٥) مسكويه: تهذيب الأخلاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م، المقدمة، (ز).

(٦) يحي بن حمزة اليماني الذماري (ت٧٤٥هـ): تصفية القلوب من درن الأوزار والذنوب، اعتنى به وخرج أحاديثه عمرو سيد شوكت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م، ص ٢٢.

(٧) عفيف الدين التلمساني: شرح التلمساني لمنازل السائرين للهروي، أعده للنشر عبد الحفيظ منصور ،الجزء الأول، دار التركي للنشر، تونس، ١٩٨٩م، ص ٢٥٥.

(٨) المصدر السابق، ص ٢٥٦.

(٩) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(١٠) عفيف الدين التلمساني: شرح التائية الكبرى لابن الفارض (ت٦٣٢هـ)، تقديم وتحقيق الدكتور جوزيبي سكاتولين، ومصطفى عبد السميع سلامة، تصدير الدكتور أيمن فؤاد سيد، دار الكتب والوثائق القومية، الإدارة المركزية للمراكز العلمية، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ٢٠١٦م، ص ٣٠١.

(١١) عبد الكريم القشيري (ت٤٦٥هـ): الرسالة القشيرية، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، والدكتور محمود بن الشريف، الجزء الثاني، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٣٩٧.

(١٢) أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي (ت٣٨٠هـ): التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الحليم محمود، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٩٩٨م، ص ٢٥.

(١٣) أبو طالب المكي: قوت القلوب، ضبطه وصححه باسل عيون السود، المجلد الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م، ص ١٩٢.

(١٤) عبد الكريم القشيري (ت٤٦٥هـ): الرسالة القشيرية، الجزء الثاني، ص ٣٩٧.

(١٥) عبد الرزاق القاشاني: اصطلاحات الصوفية، تحقيق الدكتور محمد كمال إبراهيم جعفر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٧٦.

[١٦] أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، مكتبة الجندي، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٤٩.

[١٧] أبو حامد الغزالي: المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، قرأه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمود بيجو، مطبعة الصباح ، دمشق، ١٩٩٩م، ص ٣٠.

[١٨] شهاب الدين السهروردي (ت٦٣٢هـ): عوارف المعارف، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، والدكتور محمود بن الشريف، الجزء الثاني، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٥٦.

[١٩] الدكتور أحمد محمود الجزار: التصوف والأخلاق عند السهروردي البغدادي، ضمن كتاب دراسات في التصوف الإسلامي، القاهرة ، ٢٠١٣م، ص ٦١.

[٢٠] الدكتور أحمد محمود الجزار: المرجع السابق، ص ٦٤.

[٢١] عفيف الدين التلمساني: شرح التلمساني لمنازل السائرين للهروي، الجزء الأول، ص٢٥٥.

[٢٢] عفيف الدين التلمساني: شرح فصوص الحكم لابن عربي، تحقيق أكبر راشدي نيا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٥م، ص ٢٩٩.

[٢٣] المصدر السابق، ص ٢٩٩.

[٢٤] عفيف الدين التلمساني: شرح التائية الكبرى لابن الفارض (ت٦٣٢هـ)، ص ١١٥.

[٢٥] المصدر السابق، ص ٢٨٧.

[٢٦] عفيف الدين التلمساني: شرح فصوص الحكم لابن عربي، ص ٤٩.

[٢٧] عفيف الدين التلمساني: شرح التائية الكبرى لابن الفارض (ت٦٣٢هـ)، ص ١٧٦. "فالنفس... بمعرفتها عُرِفَ الله سبحانه، ولو عرف العارف كل العبارات لم يعبر إلا عن نفسه". عفيف الدين التلمساني: شرح التائية الكبرى لابن الفارض (ت٦٣٢هـ)، ص ٢٨٩.

[٢٨] محيي الدين بن عربي: تهذيب الأخلاق، اعتنى به الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الدرقاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م، ص ١٣٨.

[٢٩] عفيف الدين التلمساني: شرح التلمساني لمنازل السائرين للهروي، الجزء الأول، ص ٢٥٧.

[٣٠] المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٥٨.

[٣١] المصدر السابق، الجزء الأول، الصفحة نفسها.

[٣٢] المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٥٩.

[٣٣] عفيف الدين التلمساني: شرح التائية الكبرى لابن الفارض (ت٦٣٢هـ)، ص ٣٠١.

[٣٤] عفيف الدين التلمساني: شرح التلمساني لمنازل السائرين للهروي، الجزء الأول، ص ٢٥٩ .

[٣٥] المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٦١.

[٣٦] المصدر السابق ،الجزء الأول، الصفحة نفسها.

[٣٧] عفيف الدين التلمساني: شرح فصوص الحكم لابن عربي، ص ٥٥.

[٣٨] عفيف الدين التلمساني: شرح فصوص الحكم لابن عربي، المقدمة، ص ٦٥.

[٣٩] عفيف الدين التلمساني: شرح التلمساني لمنازل السائرين للهروي، الجزء الأول، ص ١٨٥ .

[٤٠] المصدر السابق، الجزء الأول، ص ١٨٨.

[٤١] المصدر السابق، الجزء الأول، ص١٨٦.

[٤٢] الحكيم الترمذي (ت٢٩٦هـ): كتاب الرياضة وأدب النفس، عني بإخراجه الدكتور أ.ج. آربري، والدكتور علي حسن عبد القادر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٩٤٧م، ص ١٠٤، ١٠٥.

[٤٣] عفيف الدين التلمساني: شرح مواقف النفري، دراسة وتحقيق الدكتور جمال المرزوقي، تصدير الدكتور عاطف العراقي، مركز المحروسة، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ١١٥.

[٤٤] ابن سينا: رسالة الشيخ أبي سعيد إلى ابن سينا، ضمن رسائل ابن سينا الفلسفية، في كتاب التفسير القرآني واللغة الصوفية في فلسفة ابن سينا، للدكتور حسن عاصي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ١٩٨٣م، ص ٢٨٦.

(٤٥) الدكتور أحمد محمود صبحي: الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي العقليون والذوقيون أو النظر والعمل، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٢٣٥.

(٤٦) الدكتور أحمد محمود صبحي: المرجع السابق، ص ٢٣٧.

(٤٧) طه عبد الرحمن: سؤال في الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م، ص ١٦٣.

(48) underhill "evelyn": a. study in the nature and the development of mans spiritual consciousness, London,2003 ,p.315.

(49) j. spencer trimingham; the sufi orders in islam, oxford, 1971,p1.

(٥٠) عفيف الدين التلمساني: شرح التلمساني لمنازل السائرين للهروي، الجزء الأول، ص ٢٨٩.

(٥١) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٩٠.

(٥٢) عفيف الدين التلمساني: ديوان عفيف الدين التلمساني، الجزء الأول، دراسة وتحقيق يوسف زيدان، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٨٠.

(٥٣) أبو نصر السراج الطوسي: اللمع، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة ، مصر، ١٩٦٠م، ص ١٩٥.

(٥٤) عفيف الدين التلمساني: شرح التلمساني لمنازل السائرين للهروي، الجزء الأول، ص ٢٩٠.

(٥٥) المصدر السابق، الجزء الأول، ص٢٩٠.

(٥٦) المصدر السابق، الجزء الأول، ص٢٩١.

(٥٧) المصدر السابق، الجزء الأول، ص٢٩٢.

(٥٨) الدكتور معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، الجزء الأول، ص ٣٨.

(٥٩) عبد الكريم القشيري (ت٤٦٥ هـ): الرسالة القشيرية، الجزء الثاني، ص ٤٤٥.

(٦٠) المصدر السابق، الجزء الثاني، ص ٤٤٦.

(٦١) عفيف الدين التلمساني: شرح التائية الكبرى لابن الفارض (ت٦٣٢هـ)، ص ١١٥.

(٦٢) عفيف الدين التلمساني: شرح التلمساني لمنازل السائرين للهروي، الجزء الأول، ص٢٥٧.

(٦٣) عفيف الدين التلمساني: شرح فصوص الحكم لابن عربي، ص ٤٩. وعلم الخواص هنا: هو العلم بأسماء الله وصفاته وتجلياته. ويقصد بالمعرفة: "معرفة الصفات والنعوت، الصفات والنعوت واحد وقد يفرق بينهما بأن يقال: الصفة باعتبار النظر إلى الموصوف، والنعت باعتبار النظر إلى الناعت، فما حد الصفة هو الموصوف، وما حد النعت هو الناعت، فإضافة النعت إلى الفاعل لا إلى المفعول" انظر: عفيف الدين التلمساني: شرح التلمساني لمنازل السائرين للهروي، الجزء الأول، ص٥٦٠.

(٦٤) عفيف الدين التلمساني: شرح مواقف النفري، ص١٤٣.

(٦٥) المصدر السابق، ص ١٤١.

(٦٦) المصدر السابق، ص ٦٧.

(٦٧) المصدر السابق، ص ١٢٧.

(٦٨) عفيف الدين التلمساني: شرح التائية الكبرى لابن الفارض، ص ٢٦٥.

(٦٩) عفيف الدين التلمساني: شرح التلمساني لمنازل السائرين للهروي، الجزء الأول، ص ٢٥٨.

(٧٠) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٥٠.

(٧١) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٢٢.

(٧٢) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢١٩.

(٧٣) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٢٠.

(٧٤) المصدر السابق، الجزء الأول، الصفحة نفسها.

(٧٥) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٢١.

(٧٦) المصدر السابق، الجزء الأول، الصفحة نفسها.

(٧٧) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٢٢.

(٧٨) المصدر السابق، الجزء الأول، الصفحة نفسها.

(٧٩) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٢٣.

(٨٠) المصدر السابق، الجزء الأول، الصفحة نفسها.

(٨١) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٢٤.

(٨٢) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٢٦.

(٨٣) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٢٥.

(٨٤) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٢٧.

(٨٥) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٢٨ .

(٨٦) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٢٨، ٢٢٩.

(٨٧) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٢٩.

(٨٨) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٣١.

(٨٩) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٣٢.

(٩٠) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٣٣.

(٩١) المصدر السابق، الجزء ، ص ٢٣٤.

(٩٢) المصدر السابق، الجزء الأول، الصفحة نفسها.

(٩٣) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٣٥، ٢٣٦.

(٩٤) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٣٧.

(٩٥) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٣٨، ٢٣٩.

(٩٦) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٤١.

(٩٧) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٤٢.

(٩٨) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٤٣.

(٩٩) المصدر السابق، الجزء الأول، ص٢٤٤.

(١٠٠) الحارث بن أسد المحاسبي: الرعاية لحقوق الله، تحقيق خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة بدون تاريخ، ص ٢٥٨.

(١٠١) عفيف الدين التلمساني: شرح التلمساني لمنازل السائرين للهروي، الجزء الأول، ص ٢٤٧.

(١٠٢) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٤٨.

(١٠٣) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٤٩.
(١٠٤) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٥٠.
(١٠٥) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٥١.
(١٠٦) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٥٢.
(١٠٧) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٥٣.
(١٠٨) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٦٣.
(١٠٩) المصدر السابق، الجزء الأول، الصفحة نفسها.
(١١٠) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٦٤.
(١١١) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٦٥.
(١١٢) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٦٦ .
(١١٣) المصدر السابق، الجزء الأول، الصفحة نفسها.
(١١٤) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٦٧.
(١١٥) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٦٧، ٢٦٨.
(١١٦) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٦٩.
(١١٧) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٧٠.
(١١٨) المصدر السابق، الجزء الأول، الصفحة نفسها.
(١١٩) المصدر السابق، الجزء الأول، الصفحة نفسها.
(١٢٠) المصدر السابق، الجزء الأول، الصفحة نفسها.
(١٢١) المصدر السابق، الجزء الأول، الصفحة نفسها.
(١٢٢) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٧١.
(١٢٣) المصدر السابق، الجزء الأول، الصفحة نفسها.
(١٢٤) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٧٢.
(١٢٥) المصدر السابق، الجزء الأول، الصفحة نفسها.
(١٢٦) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٧٤.
(١٢٧) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٧٣.

(١٢٨) عبد الكريم القشيري (ت٤٦٥هـ): الرسالة القشيرية، الجزء الأول، ص ١٥٦.

(١٢٩) عفيف الدين التلمساني: شرح التلمساني لمنازل السائرين للهروي، الجزء الأول، ص٢٧٤.

(١٣٠) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٧٤.

(١٣١) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٧٥.

(١٣٢) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٧٦.

(١٣٣) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ١٧٥.

(١٣٤) المصدر السابق، الجزء الأول، الصفحة نفسها.

(١٣٥) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ١٧٦.

(١٣٦) المصدر السابق، الجزء الأول، الصفحة نفسها.

(١٣٧) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ١٨١.

(١٣٨) المصدر السابق، الجزء الأول، الصفحة نفسها.

(١٣٩) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ١٨٢.

(١٤٠) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ١٨٣.

(١٤١) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٤٦.

(١٤٢) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ١٩٧.

(١٤٣) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ١٩٩.

(١٤٤) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ١٩٩، ٢٠٠.

(١٤٥) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٠١.

(١٤٦) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٠٣.

(١٤٧) المصدر السابق ،الجزء الأول، ص ٢٠٤ .

(١٤٨) المصدر السابق، الجزء الأول، الصفحة نفسها.

(١٤٩) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٠٥.

(١٥٠) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٠٧.

(١٥١) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٠٨.

(١٥٢) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٠٩.

(١٥٣) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢١٠.

(١٥٤) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢١١.

(١٥٥) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢١٢.

(١٥٦) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢١٤. والفناء عند التلمساني: "اضمحلال ما دون الحق، يعني أن تذهب الصور في شهود العبد، وتغيب في العدم كما كانت قبل أن توجد، ويبقى الحق تعالى كما لم يزل، وتغيب صورة المشاهد أيضا بالصفة المذكورة، ويبقى الحق تعالى وصفا من صفاته العلا يشاهد وجوده، في طور عبده، ثم يعيد عبده". انظر: عفيف الدين التلمساني: المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٥٦٩. وأيضا: "الفناء: أي يشهد فناء كل ما سوى الحق في وجود الحق، ويشهد الفناء قد فني أيضا... من فني فقد تأهل للبقاء بالحق، يعني البقاء بعد الفناء". انظر: المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٥٧٢.

(١٥٧) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ١٦٩.

(١٥٨) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ١٧١.

(١٥٩) عفيف الدين التلمساني: شرح التائية الكبرى لابن الفارض، ص ٣١٤.

(١٦٠) المصدر السابق، ص ٣١٤، ٣١٥.

(١٦١) المصدر السابق، ص ٣١٨.

(١٦٢) ابن عطاء الله السكندري: التنوير في إسقاط التدبير، تحقيق وتعليق موسى محمد علي، وعبد العال أحمد العرابي، دار التراث العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٣م، ص ١٧٨.

(١٦٣) الدكتور إبراهيم مدكور: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق، الجزء الثاني، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ١٤٠.

(١٦٤) المصدر السابق، ص ١٧٦. "فالنفس... بمعرفتها عُرِفَ الله سبحانه، ولو عرف العارف كل العبارات لم يعبر إلا عن نفسه". انظر: عفيف الدين التلمساني: شرح التائية الكبرى لابن الفارض، ص ٢٨٩.

(١٦٥) المصدر السابق، ص ١٧٦.

(١٦٦) عفيف الدين التلمساني: ديوان عفيف الدين التلمساني، الجزء الأول، دراسة وتحقيق يوسف زيدان، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٢٤٧.

(١٦٧) عفيف الدين التلمساني: شرح التلمساني لمنازل السائرين للهروي، الجزء الأول، ص ٢٥٧.

(١٦٨) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٥٨.

(١٦٩) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٥٩.

***

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: **مؤلفات عفيف الدين التلمساني**:

١- ديوان عفيف الدين التلمساني، الجزء الأول، دراسة وتحقيق يوسف زيدان، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٢- شرح التائية الكبرى لابن الفارض (ت٦٣٢هـ)، تقديم وتحقيق الدكتور جوزيبي سكاتولين، ومصطفى عبد السميع سلامة، تصدير الدكتور أيمن فؤاد سيد، دار الكتب والوثائق القومية، الإدارة المركزية للمراكز العلمية، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ٢٠١٦م.

٣- شرح التلمساني لمنازل السائرين للهروي، أعده للنشر عبد الحفيظ منصور، الجزء الأول، دار التركي للنشر، تونس، ١٩٨٩م.

٤- شرح مواقف النفري، دراسة وتحقيق الدكتور جمال المرزوقي، تصدير الدكتور عاطف العراقي، مركز المحروسة، القاهرة، ١٩٩٧م.

٥- شرح فصوص الحكم لابن عربي، تحقيق أكبر راشدي نيا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٥م.

ثانياً: **المراجع العربية**:

٦- الدكتور إبراهيم مدكور: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق، الجزء الثاني، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م.

٧- الدكتور أحمد محمود الجزار: التصوف والأخلاق عند السهروردي البغدادي، بحث منشور ضمن كتاب: دراسات في التصوف الإسلامي، القاهرة ، ٢٠١٣م.

٨- الدكتور أحمد محمود صبحي: الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي: العقليون والذوقيون أو النظر والعمل، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٩- أندريه كريسون: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ترجمة الإمام عبد الحليم محمود، والأستاذ أبو بكر ذكري، مطابع دار الشعب، القاهرة ،١٩٧٩م.

١٠- أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي (ت٣٨٠هـ): التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الحليم محمود، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٩٩٨م.

١١- الحارث بن أسد المحاسبي: الرعاية لحقوق الله، تحقيق خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون تاريخ.

١٢- أبو حامد الغزالي: المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، قرأه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمود بيجو، مطبعة الصباح، دمشق، ١٩٩٩م.

١٣- أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، مكتبة الجندي، القاهرة، بدون تاريخ.

١٤- الحكيم الترمذي (ت٢٩٦هـ): كتاب الرياضة وأدب النفس، عني بإخراجه الدكتور أ.ج. آربري، والدكتور علي حسن عبد القادر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٩٤٧م.

١٥- ابن سينا: رسالة الشيخ أبي سعيد إلى ابن سينا، ضمن رسائل ابن سينا الفلسفية، في كتاب التفسير القرآني واللغة الصوفية في فلسفة ابن سينا، للدكتور حسن عاصي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ١٩٨٣م.

١٦- شهاب الدين السهروردي (ت٦٣٢هـ) : عوارف المعارف، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، والدكتور محمود بن الشريف، الجزء الثاني، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٧- أبو طالب المكي: قوت القلوب، ضبطه وصححه باسل عيون السود، المجلد الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.

١٨- طه عبد الرحمن: سؤال في الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

١٩- عبد الرءوف المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق الدكتور عبد الحميد صالح حمدان، مكتبة عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٠م.

٢٠- عبد الرزاق القاشاني: اصطلاحات الصوفية، تحقيق الدكتور محمد كمال إبراهيم جعفر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٢١- عبد الكريم القشيري (ت٤٦٥هـ): الرسالة القشيرية، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، والدكتور محمود بن الشريف، الجزء الثاني، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٥م.

٢٢- ابن عطاء الله السكندري: التنوير في إسقاط التدبير، تحقيق وتعليق موسى محمد علي، وعبد العال أحمد العرابي، دار التراث العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٣م.

٢٣- محيي الدين بن عربي: تهذيب الأخلاق، اعتنى به الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الدرقاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م.

٢٤- مسكويه: تهذيب الأخلاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.

٢٥- أبو نصر السراج الطوسي: اللمع، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر، ١٩٦٠م.

٢٦- يحيى بن حمزة اليماني الذماري (ت٧٤٥هـ) : تصفية القلوب من درن الأوزار والذنوب، اعتنى به وخرج أحاديثه عمرو سيد شوكت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.

ثالثاً: الموسوعات والدوريات:

٢٧- الدكتور معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، الجزء الأول، معهد الإنماء العربي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٦م.

رابعاً: قائمة المراجع الأجنبية:

28 - underhill "evelyn": a. study in the nature and the development of mans spiritual consciousness, London, 2003.

٢٩ - j. spencer trimingham; the sufi orders in islam, oxford, 1971.